



مفاتيح إصلاح القلب

إطلاقة على
جملة من الذنوب
أسبابها وعلاجها



إعداد: قسم الشؤون الدينية
شعبة التبليغ

قد أفلح من زكاها

إطالة على جملة من الذنوب أسبابها وعلاجها

إعداد

شعبة التبليغ

قسم الشؤون الدينية



أسم الكتاب: قد أفلح من زكاها

إعداد: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الناشر: العتبة العلوية المقدسة

المراجعة: شعبة التبليغ في قسم الشؤون الدينية

الطبعة: الأولى

سنة الطبع: ١٤٣٧هـ - ٢٠١٥م

قياس: ٢١×١٤,٨

عدد الصفحات: ٢٠٨

عدد النسخ: ١٠٠٠٠

الموقع الإلكتروني: www.imamali.net

البريد الإلكتروني: tableegh@imamali.net

موبايل: ٠٧٧٠٠٥٥٤١٨٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، ومنجى الهالكين، الرؤوف بالعباد الرحمن الرحيم، مزكي نفوس أوليائه عن الأخلاق الدنية والخصال الذميمة، وصلى الله على نبيه المصطفى المبعوث بالشرعة الحنيفة والملة القويمة وعلى عترته الطاهرة العاملة بسنته السائرة على منهجه.

وبعد..

فلا شك أنّ أيّ أمة أو شعب أو جماعة لا يمكن أن ترتقي وتصل إلى مستوى الكمال والسعادة إلا إذا توفرت جملة من الخصائص والمميزات والسلوكيات، لذا نجد الشريعة الغراء من باب تحقيق الغرض والهدف حثت بني البشر على التحلي والاتصاف بمكارم الأخلاق والسمو والرفعة، والتخلي والاجتناب عن مساوئ الصفات.

ولقد نصب لنا سبحانه وتعالى عالماً ومنازلاً للاقتداء به والسير على منهجه حيث قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وقوله تعالى في وصف النبي الأكرم ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، فجاء المدح الإلهي العظيم لما هو موجود من الصفات والخصائص في شخص النبي الكريم ﷺ وأمرنا باتباعه والسير

(١) سورة الحشر: آية ٧.

(٢) سورة القلم: آية ٤.

على هديه، ولا يمكن الوصول إلى السعادة والخلود والأخلاق الفاضلة إلا عن طريق ما مهّده النبي الأعظم ﷺ لأمته بوصاياه المتعددة باتباع عترته الطاهرة الذين لا خلاف في اتصافهم بالأخلاق الفاضلة وابتعادهم عن غير ذلك...

وفي الختام نسأل الله العلي العظيم أن يوفق الجميع للسير على هدي النبي الأعظم ﷺ وعترته الطاهرة للوصول إلى السعادة الأبدية والفوز العظيم. وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

شعبة التبليغ

٢٧ / شعبان المعظم / ١٤٣٧ هـ



**الذنوب
آثارها وعلاجها**

المدخل:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(١)، إننا لو نظرنا إلى الأمراض الصحية التي يعانها الإنسان لوجدناها غالباً ما تكون بسبب مخالفة الدساتير الطبية التي وضعها الأطباء وقايةً وعلاجاً للأبدان، وكل مخالفة لقاعدة من قواعد الطب هناك مرض في مقابلها، هذا في الأمراض الصحية أما الذنوب فهي أعظم مغبة وغائلة، فهي تسبب الأمراض البدنية والروحية، وتجلب سخط الله وتزيل رحمته، وتوجب التعاسة للإنسان وتمنع سعادته في الدارين.

الذنوب في لسان الآيات والروايات:

أما في التحذير من المعاصي فقد جاءت آيات وروايات للتهويل منها، فمن ضمن الآيات قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢)، فالآية صرحت بأن اكتساب المعاصي سبب لدخول النار والخلود فيها، وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^(٣)، وقال جل ذكره: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بَدُونِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ

(١) سورة الأنعام: آية ١٥١.

(٢) سورة البقرة: آية ٨١.

(٣) سورة البقرة: آية ٥٩.

قَرْنَا آخِرِينَ ﴿١﴾، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ﴿٢﴾.

وأما الأحاديث فهي كالمعتاد نُفَصِّلُ وتُبَيِّنُ حتى الجزئيات الدقيقة لهداية البشر، قال رسول الله ﷺ: (عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار) ﴿٣﴾، فنحن نخاف من الطعام الذي يضرنا ولكن في المقابل هنالك شيء إذا فعلناه لم نمرض فقط بل ندخل النار، ألا وهي الذنوب فكما لا بد أن نحافظ على صحتنا من الأمراض لا بد أن نرحم أجسادنا الضعيفة عن النار.

وقال ﷺ: (احذر سُكْرَ الخَطِيئَةِ، فَإِنَّ لِلخَطِيئَةِ سُكْرًا كَسُكْرِ الشَّرَابِ، بَلْ هِيَ أَشَدُّ سُكْرًا مِنْهُ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿صُمُّ بَكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرِجْعُونَ﴾) ﴿٤﴾. وعنه ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ لِيُحْبَسَ عَلَى ذَنْبٍ مِنْ ذُنُوبِهِ مِائَةَ عَامٍ وَإِنَّهُ لَيَنْظُرُ إِلَى أَزْوَاجِهِ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُ) ﴿٥﴾.

وسُئِلَ أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: (أَيُّ ذَنْبٍ أَعْجَلَ عِقُوبَةَ لِسَابِحِهِ؟) فقال: من ظلم من لا ناصر له إلا الله، وجاور النعمة بالتقصير، واستطال بالبغي على الفقير) ﴿٦﴾.

وعن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال: (كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم

(١) سورة الأنعام: آية ٦.

(٢) سورة الشورى: آية ٣٠.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٣، ص ٣٥٩.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٤، ص ١٠٢.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٧٢.

(٦) المصدر السابق.

يكونوا يعملون، أحدث الله لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون^(١).
وعن الإمام الكاظم عليه السلام: (إن الله عز وجل في كل يوم وليلة مناديا
ينادي: مهلا مهلا عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رُئِعَ، وصبية رُضِعَ،
وشيوخ رُكِّعَ، لصب عليكم العذاب صبا، ترضون به رضا)^(٢).

الكبائر والصغائر:

قسم الفقهاء الذنوب إلى قسمين:

١ - الذنوب الكبيرة.

٢ - الذنوب الصغيرة.

والكبائر هي: ما توعد بها الله النار على فاعلها، أو ما ورد في نص الكتاب
النهي عنه، ويعني بوصفه بالكبيرة: إن العقوبة بالنار عظيمة، أو أن تخصيصه
بالذكر في القرآن يدل على عظمه، وقد اختلف الفقهاء اختلافا كبيرا في تعدادها
وتشخيصها، كما وردت مجموعة من الروايات التي تحدد الكبائر بعدد مختلف
ستعرض لها، وذكر بعض الفقهاء في حكمة هذا الاختلاف: إن الشرع لم
يعينها، وأهمها ليكون العبد على وجل منها، فيجتنبون جميع الذنوب، كما أنهم
ليلة القدر ليعظم جدُّ الناس في طلبها، وواظبوا في ليال متعددة على العبادات،
وكما أنهم الاسم الأعظم ليواظبوا على جميع أسماء الله.

ومنشأ التقسيم إلى الكبائر والصغائر من القرآن الكريم والروايات،
فمثلاً نقرأ في القرآن الكريم: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٣)، وفي آية أخرى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٣) سورة النساء: آية ٣١.

فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا^(١)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾^(٢).

وَاللَّمَمُ: ما دون الكبائر من الذنوب، وهو صغار الذنوب، قال الأخفش: اللَّمَمُ الْمُقَارَبُ مِنَ الذَّنُوبِ^(٣).

ومن خلال الآيات الكريمة، والروايات الشريفة الواردة عن أهل البيت عليهم السلام يتبين أن الذنوب في الإسلام على نوعين: صغيرة وكبيرة، فالذنوب الكبيرة تطلق على ما جعل الله جزاءها النار والجحيم واجباً وحتماً، فعن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عز وجل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ قال: الكبائر، التي أوجب الله عز وجل عليها النار^(٤)، وجاء في بعض هذه الروايات أن الذنوب الكبيرة تسعة عشر ذنباً، فعن الإمام الجواد عليه السلام قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي موسى بن جعفر عليه السلام يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله عليه السلام فلما سلم وجلس تلا هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾ ثم أمسك، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: ما أسكتك؟ قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل، فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشرak بالله، يقول الله: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾، وبعده الإياس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا

(١) سورة الكهف: آية ٤٩.

(٢) سورة النجم: آية ٣٢.

(٣) لسان العرب لإبن منظور: ج ١٢، ص ٥٤٩.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٧٦.

الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿١﴾، ثم الأمن من مكر الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا يَأْمَنُ
 مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾، ومنها عقوق الوالدين، لأن الله سبحانه جعل
 العاق جباراً شقيماً، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، لأن الله عز وجل
 يقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، وقذف المحصنة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لُعِنُوا
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل
 يقول: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، والفرار من
 الزحف، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يُؤْهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ
 أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾، وأكل
 الربا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ
 الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾، والسحر، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَلَقَدْ
 عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ
 كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾، والزنا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ
 أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخُذْ فِيهِ مَهَانًا﴾، واليمين الغموس
 الفاجرة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا
 قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، والغلول، لأن الله عز وجل يقول:
 ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا
 يُظْلَمُونَ﴾، ومنع الزكاة المفروضة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فَتُكْوَى بِهَا
 جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾، وشهادة الزور وكتمان الشهادة، لأن الله عز
 وجل يقول: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثَمٌ قَلْبُهُ﴾، وشرب الخمر، لأن الله عز وجل
 نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان، وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض

الله، لأن رسول الله ﷺ قال: مَنْ ترك الصلاة متعمدا فقد برئ من ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ، ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾، قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك مَنْ قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم^(١).

الصغائر قد تكون كبائر:

ما دامت المعصية تُعدُّ مخالفة لحكم من أحكام الله تعالى، فهي تستوجب الذنب والعقوبة في الدنيا والآخرة، ولا يختلف في ذلك الصغائر والكبائر فكلاهما معصية، ولكن الفرق بينهما في شدة العذاب وقلته، ولكن مع ذلك فهناك حالات تكون الذنوب كلها عظيمة وتوجب دخول النار، فتتحول الصغيرة إلى كبيرة بأسباب:

أحدها: الإصرار والمواظبة على الذنب، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أعظم الذنوب عند الله ذنب أصرَّ عليه عامله)^(٢)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار)^(٣).

وثانيها: استصغار الذنب، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أشد الذنوب عند الله سبحانه ذنب استهان به راكمه)^(٤)، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: يا ليتني لا وأخذُ إلا بهذا)^(٥).

وثالثها: أن يأتي بالصغائر ولا يبالي بفعالها، اغتراراً بستر الله عليه، وحلمه

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٨٥.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١١، ص ٣٦٨.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٨٨.

(٤) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجردي: ج ١٣، ص ٣٣٤.

(٥) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٢٤.

عنه، وإمهاله إياه، ولا يعلم أنه إنما يمهل مقتاً ليزداد بالإمهال إثماً، فتزهق أنفسهم وهم كافرون، فمن ظن أن تَمَكُّنَهُ من المعاصي عنايةً من الله به، فهو جاهل بمكامن الغرور، وآمن من مكر الله الذي لا يأمن مكره إلا الكافرون. ورابعها: السرور بالصغيرة وعدّ التمكن من ذلك نعمة، والغفلة عن كونها نقمة وسبب الشقاوة، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام قال: (إياك والابتهاج بالذنب، فإن الابتهاج به أعظم من ركوبه)^(١).

وخامسها: أن يذنب ويظهر ذنبه بأن يذكره بعد إتيانه، أو يأتي به في مشهد غيره، فإن ذلك خيانة منه على الله الذي أسدله عليه، وتحريك الرغبة والشر فيمن أسمعه ذنبه أو أشهده فعله، فهما خيانتان انضمتا إلى خيانتته فتغلظت به، فإن انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهيئة الأسباب له صارت خيانتته رابعة، وتفاحش الأمر، وهذا لأن من صفات الله أنه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك الستر، فالإظهار كفران لهذه النعمة، قال رسول الله ﷺ: (المستر بالحسنة تعدل سبعين حسنة، والمذيع بالسيئة مخذول، والمستر بها مغفور له)^(٢).

وسادسها: أن يكون الآتي بالصغيرة عالماً يقتدي به الناس، فإذا فعلها بحضرة الناس كبر ذنبه، وذلك كلبسه الذهب والحريز، وأخذه مال الشبهة، وإطلاقه اللسان في أعراض الناس، ونحو ذلك، فهذه ذنوب قد يتبعه غيره ويقلده، فيكون شريكاً في الإثم، وحتى بعد موته يبقى شره مستطيراً في العالم، ففي الخبر: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلِيهِ وَزَرَهَا وَوَزَرَ مِنْ عَمَلِهَا لَا

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٥، ص ١٥٩.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٩، ص ٤٥٦.

ينقص من أوزارهم شيء^(١)، فطوبى لمن إذا مات مات معه ذنوبه، قال الله تعالى: ﴿وَنَكُتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ﴾^(٢).

والآثار: ما يلحق الأعمال بعد انقضاء العمل، فعلى المذنب وظيفتان: إحداهما: ترك الذنب، والأخرى: إخفاؤه.

آثار الذنوب:

تكلّمنا في المقام السابق عن الذنوب والآن نتكلم عن آثار الذنوب، فكما أن لمخالفة الإرشادات الطيبة آثارا وعوارض، كذلك في الركون إلى معاصي الله جل وعلا آثارها أيضاً، والآثار على كفيات ونقسمها على حسب تتبع ما ورد عن المعصومين عليهم السلام فيها إلى أربعة موارد:

أ- أثر الذنوب في العقل، قال رسول الله ﷺ: (من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً)^(٣).

ب- أثر الذنوب في الحياة الدنيا، قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: (توقّوا الذنوب، فما من بلية ولا نقص رزق إلا بذنب حتى الخدش والكبوة والمصيبة، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٤).

ج- أثر الذنوب في الإيمان، قال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً)^(٥).

(١) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٣، ص ٦٢.

(٢) سورة يس: آية ١٢.

(٣) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٨، ص ١٦٠.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٦١٦.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٧١.

د- أثر الذنوب في الآخرة، قال الرسول الأعظم ﷺ: (يا بن مسعود لا تحقرن ذنباً ولا تصغرنه واجتنب الكبائر، فإن العبد إذا نظر يوم القيامة إلى ذنوبه دمعت عيناه قيحاً ودماً يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^(١).

وسائل علاج الذنوب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾^(٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(٣).

كما تجدر المسارعة إلى علاج الجسم من الأمراض قبل استفحالها، وتطهيره من الجراثيم قبل أن يضعف الجسم عن مكافحتها، كذلك تجب المبادرة إلى تصفية النفس وتطهيرها من أضرار الذنوب وذنس الآثام قبل تفاقم غوائلها وعسر تداركها.

وكما تعالج الأمراض البدنية بتجرع العقاقير الكريمة الرائحة والمرة المذاق والاحتماء عن المطاعم الشهية الضارة كذلك تعالج الذنوب بتحمل أعباء التوبة والإقلاع عن الشهوات العارمة والأهواء الجامحة ليأمن التائب أخطارها ومآسيها الدنيوية والأخروية، فالتوبة هي الرجوع إلى الله تعالى بقلب صادق وبذل كل ما يرفع سخط الرحمن، فالإنسان لا يعلم متى سيلقي ربه هل في شبابه أم في هرمه هل في صحته أم في سقمه هل حال طاعته أم حال معصيته، فلذا يجب على الإنسان العاقل أن يتوب إلى الله تعالى ولا يمني نفسه بغد وبعد غد، بل يبادر في شبابه قبل هرمه وفي صحته قبل

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١١، ص ٣٥٠.

(٢) سورة هود: آية ١١٤.

(٣) سورة البقرة: آية ٢٢٢.

سقمه، وهذا أمر طبيعي للمؤمن الذي يوقن بالآخرة والجزاء، وأن حال الدنيا مَعْبَرٌ لا مستقر، فمن نظر بهذا المنظار فلن يعصي الله تعالى طرفة عين أبداً، ولذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة قال الله: ﴿إِنَّهَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(١)).

وأخيراً نسأل الله أن يعصمنا من الزلل والخطأ ويأخذ بأيدينا لما فيه الخير والصلاح إنه سميع مجيب.

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج ١١، ص ١٨٣.



**حقيقة التوبة
أركانها وشروطها**

أهمية التوبة:

التوبة أول مقامات الدين، ورأس مال السالكين، ومفتاح استقامة السائلين، ومطلع التقرب إلى رب العالمين، مَدْحُهَا عَظِيمٌ، وَفَضْلُهَا جَسِيمٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)، وناهيك في فضلها أنَّهَا بَلَسَمَ الذُّنُوبَ، وَسَفِينَةَ النِّجَاةِ، وَصَمَّ الْأَمْنَ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ، وَقَدْ أَبَتِ الْعَنَايَةَ الْإِلَهِيَّةَ أَنْ تُهْمَلَ الْعَصَاةُ يَتَخَبَطُونَ فِي دِيَاغِيرِ الذُّنُوبِ، وَمَجَاهِلِ الْعَصِيَانِ، دُونَ أَنْ يَسْعَهُمَ اللَّهُ بِعَظْفِهِ السَّامِيِّ، وَعَفْوِهِ الْكَرِيمِ، فَشَوَّقَهُمْ إِلَى الْإِنَابَةِ، وَمَهَّدَهُمُ التَّوْبَةَ، فَقَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

وقال عز وجل: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾^(٤)، وقال رسول الله ﷺ: (التائب حبيب الله، والتائب من الذنب

(١) سورة البقرة: آية ٢٢٢.

(٢) سورة الأنعام: آية ٥٤.

(٣) سورة الزمر: آية ٥٣.

(٤) سورة نوح: آية ١٠-١٢.

كمن لا ذنب له^(١).

وقال الإمام الباقر عليه السلام: (إن الله تعالى أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من رجل أضل راحلته وزاده في ليلة ظلماء فوجدها، فالله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده من ذلك الرجل براحلته حين وجدها)^(٢).

وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إذا تاب العبد توبة نصوحاً، أحبه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ويوحى إلى جوارحه: اكنمي عليه ذنوبه ويوحى إلى بقاء الأرض اكنمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقى الله عز وجل حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب)^(٣).

وعنه عليه السلام: (ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام وأسأله أن يصلي على محمد وآل محمد وأن يتوب عليّ، إلا غفرها الله له، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة)^(٤).

معنى التوبة:

التَّوْبَةُ فِي اللُّغَةِ: الرَّجُوعُ مِنَ الذَّنْبِ، يُقَالُ: تَابَ إِلَى اللَّهِ يَتُوبُ تَوْبًا وَتَوْبَةً وَمَتَابًا: أَنَابَ وَرَجَعَ عَنِ الْمَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَاسْتَبْتَبْتُ فُلَانًا: عَرَضْتُ عَلَيْهِ التَّوْبَةَ مِمَّا اقْتَرَفَ، أَي: الرَّجُوعَ وَالنَّدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ، وَاسْتَبْتَبَهُ: سَأَلَهُ أَنْ يَتُوبَ.

(١) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٣، ص ٥١.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٤٣٥.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٤٣٠.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ٣٣٣.

وأما التوبة في الاصطلاح الشرعي: فقد اختلفت الكلمات في معناها على أقوال: فقول: الندم على الذنب لكونه ذنباً، وقد يزداد بالإضافة إلى ما تقدم هذا القيد: مع العزم على ترك المعادة أبداً، والظاهر: أن هذا العزم لازم لذلك الندم غير منفك عنه، وقيل: الندم على المعصية، لكونها معصية، والعزم على ترك المعادة في المستقبل، لأن ترك العزم يكشف عن نفي الندم.

حقيقة التوبة:

لا تتحقق التوبة الصادقة النصوح إلا بعد تبلورها، واجتيازها أطواراً ثلاثة:

الطور الأول: هو طور يقظة الضمير، وشعور المذنب بالأسى والندم على معصية الله تعالى، وتعرضه لسخطه وعقابه، فإذا امتلأت نفس المذنب بهذا الشعور الواعي انتقل إلى:

الطور الثاني: وهو طور الرجوع إلى الله عز وجل، والعزم الصادق على طاعته، ونبذ عصيانه، فإذا ما أنس بذلك تحول إلى:

الطور الثالث: وهو طور تصفية النفس من رواسب الذنوب، وتلافي سيئاتها بالأعمال الصالحة الباعثة على توفير رصيد الحسنات، وتلاشي السيئات، وبذلك تتحقق التوبة الصادقة النصوح.

وليست التوبة هزلاً عابثاً، ولقلقةً يتشدد بها اللسان، وإنما هي: الرجوع الصادق إلى الله تعالى، ومجافاة عصيانه بعزم وتصميم قوين، والمستغفر بلسانه وهو سادر في المعاصي مستهتر كذاب، كما قال الإمام الرضا عليه السلام: (المستغفر من ذنب ويفعله كالمستهزئ بربه)^(١).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٥٠٤.

مخاطر تأخير التوبة:

إن لتأخير التوبة وتسويق الإقلاع عن الذنوب مخاطر كبيرة، نذكر منها:
 أولاً: إن تأخير التوبة مدعاة لأن يخسر الإنسان لطف الله تعالى في محو المعصية والعفو عن الذنب عاجلاً، فالكثير من النصوص الدينية تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى إنما يمحو الذنب عن عباده إذا ما سارعوا إلى التوبة حتى كأنهم لا ذنب لهم، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن العبد إذا أذنب ذنباً أجّل من غدوة إلى الليل، فإن استغفر الله لم يكتب عليه)^(١).

وعنه عليه السلام: (العبد المؤمن إذا أذنب ذنباً أجّله الله سبع ساعات، فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيء، وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة، وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتى يستغفر ربه فيغفر له)^(٢)، وكأن في ذلك - بمقتضى قول الإمام عليه السلام - فرصة للإنسان للمراجعة والتوبة قبل أن تكتب عليه معاصيه.

ثانياً: ينطوي تأجيل التوبة على مخاطر، منها: ضعف إرادة المرء، واهتزاز وفتور عزمته على التوبة، ويعود ذلك إلى أن الإنسان كلما استمر في القبول بالذنب وممارسته فإنه يتكيف معه ويتطبع به، من هنا تأتي أهمية اقتناص لحظات الهداية لاتخاذ قرار التوبة، حذراً من فوات هذه الفرصة، وبهذا نفهم قول الله تعالى حين يتحدث في محكم كتابه الكريم عن المسارعة إلى التوبة: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾^(٣).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٤٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة النساء: آية ١٧.

ومضمون التعبير القرآني: ﴿يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾، أي: لا يتأخرون في التوبة، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: (لا دين لمُسوّفٍ بتوبته)^(١)، وفي ذلك إشارة خطيرة من الإمام عليه السلام، بأن من يُسوّف التوبة سيكون عرضة لفقدان الحالة الدينية في نفسه.

ثالثاً: عدم ضمان المرء لحياته، فإلى متى سوف يؤجّل المرء التوبة ومتى سيقلع عن الذنب، أتراه يضمن حياته، أفلا يخشى هجوم الأجل عليه وهو بعد لم ينجز التوبة؟ ورد عن الإمام علي عليه السلام: (مُسوّف نفسه بالتوبة، من هجوم الأجل على أعظم خطر)^(٢).

فعلى الإنسان أن يبادر إلى التوبة بمجرد أن يتنبه إلى الخطأ والمعصية، وهذا ما يوجه إليه الإمام الجواد عليه السلام، بقوله: (تأخير التوبة اغترار - أي حالة من الغرور يعيشها الإنسان الذي يعتقد بطول الأمل والعمر - وطول التسويف حيرة - أي يجعل الإنسان حائراً بين الصبح والخطأ من حيث السلوك - والاعتلال على الله هلكة - أي يتحجج بالعثور على فرصة مناسبة، في وقت آخر، هذه كلها أعذار: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ* وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ - والإصرار على الذنب أمن لمكر الله: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣).

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت للشيخ هادي النجفي: ج ٢، ص ٢٦٨.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٢، ص ١٣٠.

(٣) تحف العقول لإبن شعبة الحرّاني: ص ٤٥٦.

أركان التوبة وشروطها:

التوبة هي الإقلاع عن الذنب، ويعتبر في تحققها ثلاثة قيود:

الأول: ترك الفعل في الحال.

الثاني: الندم على الماضي من الأفعال.

الثالث: العزم على الترك في الاستقبال.

جاء في نهج البلاغة أنه قال أمير المؤمنين عليه السلام لقائل قال بحضرته:

(استغفر الله: ثكلتك أمك أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العليين

وهو اسم واقع على ستة معانٍ:

أولها: الندم على ما مضى.

والثاني: العزم على ترك العود إليه أبداً.

والثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أمليس ليس

عليك تبعة.

والرابع: أن تعمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها.

والخامس: أن تعمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان

حتى تلتصق الجلد بالعظم وينشأ بينهما لحم جديد.

والسادس: أن تذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند

ذلك تقول: أستغفر الله^(١).

يشتمل هذا الحديث الشريف الذي نقله السيد الرضي (أعلى الله مقامه)

عن إمام الموحدين علي عليه السلام، على ركنين من أركان التوبة هما: الندامة،

والعزم على ترك العودة.

(١) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص ٥٤٩.

فالدائمة إقرار بالخطأ والذنب الذي اقترفه، وهذه بداية الانعطاف عن طريق المعصية والرجوع إلى طريق الطاعة.

وأما العزم على ترك العودة إليه، فهو توطين للنفس أن لا تعود إلى هذا الطريق بعد أن عرف أنه طريق خاطئ يؤدي به إلى الهلكة، وعرف طريق الحق الذي يوصله إلى الرضوان والطاعة، فهذان الأمران هما حقيقة التوبة وقوامها.

ويشتمل هذا الحديث أيضا على شرطين مهمين للقبول هما: إرجاع حقوق المخلوق لأهلها، وأداء حقوق الخالق سبحانه، وهذان الأمران مطلوبان، لأن العمل السابق الذي عمله بجهالة يمكن أن تترتب عليه تبعات بالنسبة للمخلوقين أو الخالق، وهذه التبعات لا تزول بمجرد ترك الذنوب، بل لا بد من تداركها بعمل ما، حسب نوع الذنب، لكي يضمن أن لا يحاسب على ذنبه يوم القيامة، وسيأتي بيان الجانب العملي للتوبة من الذنب.

وأما الأمران الأخيران وهما الخامس والسادس، فهما من شروط كمال التوبة، أي: أن التوبة الكاملة لا تتحقق ولا تقبل من دونهما.

الطريق العملي للتوبة:

إعلم أن التوبة من الذنب وكيفية الخروج عنها تختلف بحسب نوع الذنوب التي كان يقارفها الإنسان، لأن المعاصي إما من حقوق الله وهي التي بينه وبين الله، أو حقوق الناس وهي التي بينه وبين المخلوق، والأولى -أي: حقوق الله- إما: واجبات أو محرمات، فهذه أقسام ثلاثة للتوبة:

الأول: فإذا كان قد ترك الطاعات الواجبة بينه وبين الله تعالى من الصلاة، والصوم، والزكاة، والخمس والكفارة وغيرها، فطريق التوبة عنها: أن يندم

على ما فرط في طاعة الله، ويعزم على تعويض ما فات، وذلك بأن يعلم مقدار ما تركه من الطاعات إن كان متيسراً، أو يجتهد في تحصيل هذا المقدار إن كان متعسراً، ثم يبادر في قضائه ولا يتهاون في ذلك، حتى يحصل له اليقين بفرغ الذمة عن الواجب المكلف به.

الثاني: وإذا كان قد فعل المحرمات التي بينه وبين الله، أعني المنهيات: كشرب الخمر، وضرب المزامير، والكذب، والزنا بغير ذات بعل - والعياذ بالله-، فطريق التوبة عنها: أن يندم عليها، ويوطن قلبه على ترك العود إلى مثلها أبداً.

الثالث: وأما إذا كان قد قارف الذنوب التي بينه وبين العباد، وهي المعبر عنها بحقوق الناس، وهي إما في المال، أو في النفس، أو في العرض، فلأمر فيها أصعب وأشكل: فما كان في (المال): يجب عليه أن يرده إلى صاحبه إن أمكنه، فإن عجز عن ذلك لعدم أو فقر، وجب أن يستحل منه، وإن لم يحله أو عجز عن الوصول إليه لغيبه الرجل غيبة منقطعة أو موته وعدم بقاء وارث له، فليصدق عنه إن أمكنه، وإلا فعليه بالتضرع والابتهاال إلى الله أن يرضيه عنه يوم القيامة، وعليه بتكثير حسناته هو وتكثير الاستغفار لصاحبه، ليكون يوم القيامة عوضاً عن حقه، إذ كل من له حق على غيره لا بد أن يأخذ يوم القيامة عوضاً عن حقه، إما بعض طاعته أو بتحمل هذا الغير بعض سيئاته. وما كان في (النفس): فإن كانت جناية جرت عليه خطأً وجب أن يعطي الدية، وإن كان عمداً وجب عليه أن يمكّن المجني عليه أو أولياءه - مع هلاكه - من القصاص حتى يقتص منه، أو يجعله في حل، وإن عجز عن ذلك فعليه الرجوع أيضاً إلى الله بالتضرع والابتهاال أن يرضيه عنه يوم القيامة.

وما كان في (العرض): بأن شتم أحدا، أو قذفه، أو بهته، أو اغتابه، فحقه أن يكذب نفسه عند من قال ذلك لديه، ويستحل من صاحبه مع الإمكان، إن لم يخف تهديده وزيادة غيظه وهيجان فنتته من إظهاره، فإن خاف ذلك، فليكثر الاستغفار له، ويبتهل إلى الله أن يرضيه عنه يوم القيامة.

ومجمل ما يلزم في التوبة عن حقوق الناس: إرضاء الخصوم مع الإمكان، وبدونه التصدق وتكثير الحسنات والاستغفار، والرجوع إلى الله بالتضرع والابتهاال، وليرضيهم عنه يوم القيامة، ويكون ذلك بمشيئة الله، فلعله إذا علم الصدق من قلب عبده، ووجد ذله وانكساره، ترحم عليه وأرضى خصماءه من خزانة فضله، فلا ينبغي لأحد أن ييأس من روح الله.

وأخيراً نسأل الله تعالى أن يجعلنا وإياكم من المبادرين إلى التوبة وأن يتقبلها منا بقبول حسن ويوفقنا لكل خير وصلاح.



**فريضة الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر**

المدخل:

جاء الإسلام من أجل هداية المجتمع الإنساني، وإيصاله إلى قمة التكامل والنمو والارتقاء الفكري والأخلاقي، بتقرير المنهج الإلهي في واقع الحياة، وجعله الحاكم على أفكار الناس، ومشاعرهم، ومواقفهم، خصوصاً وإن الإنسان يحمل في جوانحه الاستعدادات المختلفة للخير والشر والفضيلة والفجور، إضافة إلى دور الشيطان في الوسوسة والإغراء، فهو بحاجة إلى من يهديه ويرشده ويقوم له تصورات وعواطفه وممارساته العملية، لتسير على وفق العقيدة والشريعة الإسلامية، ولا تتحقق هذه الهداية بمجرد نزول المفاهيم والقيم على رسول الله ﷺ ما لم ترسخ في حياة الناس وتكون جزءاً من منظومتهم الفكرية والنفسية فيمارسونها بعد ذلك في حياتهم، فأوجب سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعله من أركان الإسلام، لأنه غاية الدين وقوام الشريعة كما عبّر عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (غاية الدين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود)^(١)، وقال الإمام محمد الباقر عليه السلام: (إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحاء، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمين المذاهب وتُحل المكاسب، وتُرد المظالم، وتُعمّر الأرض ويُتتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر...)^(٢).

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٢، ص ١٨٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٦.

فإن من أهم المهام وأفضل القربات التناصح والتوجيه إلى الخير والتواصي بالحق والصبر عليه، والتحذير مما يخالفه ويُغضب الله عز وجل وياعد من رحمته، وقد عدّه العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، وقدمه الله عز وجل على الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(١)، وقدمه الله عز وجل في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢).

وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر، وبإضاعته تكون العواقب وخيمة والكوارث كبيرة والشور كثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل، ويفشو المنكر.

فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

جاء في وصية رسول الله ﷺ لأمر المؤمنين عليّاً عليه السلام، قال: (يا عليّ لئن يهدي الله على يديك نسمةً خيرٌ ممّا طلعت عليه الشمس)^(٣)، وقال ﷺ: (أفضل الأعمال بعد الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، وحجة الإسلام، وصوم شهر رمضان: الجهاد في سبيل الله، والدعاء إلى دين الله، والأمر بالمعروف

(١) سورة آل عمران: آية ١١٠.

(٢) سورة التوبة: آية ٧١.

(٣) مجمع البيان للشيخ الطبرسي: ج ٣، ص ٧٥.

والنهي عن المنكر^(١).

وتتجسد فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن جعله الله تعالى باباً إلى الرحمة والفلاح وجعل تركه سبباً لنزول العقاب والعذاب في دار الدنيا، وفي دار الآخرة.

ومن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يلي:

أولاً: أنه من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾^(٢).

ثانياً: أنه من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، على عكس أهل الشر والفساد: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٤).

ثالثاً: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الصالحين، قال تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٥).

رابعاً: من فضل هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^(٦).

(١) مسند زيد لزيد بن علي: ص ٣٥١.

(٢) سورة النحل: آية ٣٦.

(٣) سورة التوبة: آية ١١٢.

(٤) سورة التوبة: آية ٦٧.

(٥) سورة آل عمران: آية ١١٣-١١٤.

(٦) سورة آل عمران: آية ١١٠.

خامساً: أنه من أسباب النصر، قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ^(١)، قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزه الله ومن خذلها خذله الله)^(٢).

سادساً: هو من الخير الكثير وفيه من الأجر عظيم لمن قام به، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٣)، وقال رسول الله ﷺ: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً)^(٤).

سابعاً: أنه من أسباب تكفير الذنوب كما قال رسول الله ﷺ: (فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وجاره، يكفرها الصيام والصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)^(٥).

ثامناً: في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حفظ للضرورات الخمس، وهي: الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الفضائل غير ما ذكرنا.

(١) سورة الحج: آية ٤٠-٤١.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٩.

(٣) سورة النساء: آية ١١٤.

(٤) كنز العمال للمتقي الهندي: ج ١٥، ص ٧٨٠.

(٥) المصدر السابق: ج ١١، ص ٢٢٥.

آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إذا تُرِكَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعُطِّلت رايته؛ ظهر الفساد في البر والبحر وترتب على تركه أمور عظيمة منها:

١- وقوع الهلاك والعذاب، قال الله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾^(١)، وعن رسول الله ﷺ: (لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليعمَّنكم عذاب الله...)^(٢)، وعنه ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم)^(٣)، وعن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام قالوا: (ويل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)^(٤)، وأوحى الله عز وجل إلى شعيب النبي عليه السلام: (أني معدَّب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يفضبوا الغضبي)^(٥).

٢- عدم إجابة الدعاء، وقد وردت أحاديث في ذلك منها قال محمد بن عرفة: سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يقول: (لتأمرن بالمعروف، ولتنهن عن المنكر، أو ليستعملن عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)^(٦).

٣- لعن الله للأمة، قال رسول الله ﷺ: (والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهن

(١) سورة الأنفال: آية ٢٥.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ١٣٥.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٣، ص ٦٧.

(٤) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ١١٧.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٦.

(٦) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ١١٨.

عن المنكر، ولتأطرنهم على الحق أطرا أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض وليلعنكم كما لعنهم^(١).

٤- تسلط الفساق والفجار والكفار، وتزيين المعاصي، وشيوع المنكر واستمراؤه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم...)^(٢).

٥- ظهور الجهل، واندثار العلم، وتخبط الأمة في ظلم حالك لا فجر لها، ويكفي عذاب الله عز وجل لمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تسلط الأعداء والمنافقين عليه، وضعف شوكته وقلة هيئته.

معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف: هو كل فعل حسن، والمنكر: هو كل فعل قبيح.
وأما اصطلاحاً، فالمعروف: ما أمر الله تعالى به في كتابه، أو على لسان رسوله محمد ﷺ، وسمي هذا معروفاً، لأن النفوس السليمة تعرفه وتفضله وتشهد بحسنه وتقبله وتستحسن التعبد به، وتعبير آخر المعروف ضد المنكر، وهو اسم لكل فعل يعرف بالعقل والشرع حسنه.

والمنكر: هو كل ما ينكر، وهو مشتق من الإنكار، وعلى هذا الأساس وُصفت الأعمال الصالحة بأنها أمور معروفة، والأعمال السيئة بأنها أمور منكرة، لأن الفطرة الإنسانية الطاهرة تعرف القسم الأول وتتكسر القسم الثاني^(٣).

والطريق الأصوب لتحصيل مصاديقها وتشخيصها هو الرجوع إلى الشرع الذي هو عقل من الخارج - كما أن العقل شرع من الداخل - وعليه

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج٦، ص٨٣.

(٢) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص٤٢٢.

(٣) تفسير الأمثل للشيخ مكارم الشيرازي: ج٢، ص٦٣١.

فكل ما أمر به الشارع الأقدس ورجب الناس إليه فهو معروف كما أن كل ما نهى الشارع عنه المسلمون وذمهم ووبخهم عليه فمنكر.

أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المعروف ينقسم إلى: الواجب والندب، فالأمر بالواجب واجب، وبالمندوب مندوب وكذا النهي عن المكروه، فهو من جملة المعروف المندوب. والمنكر: لا ينقسم، لأنه كله حرام، فالنهي عنه كله واجب.

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ولا يجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ما لم تكتمل شروط خمسة: الأول: معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجبان على الجاهل بالمعروف والمنكر، ولكن قد يجب التعلم مقدمة للأمر بالأول والنهي عن الثاني.

الثاني: إحتمال إتيان المأمور بالمعروف بالأمر، وإنتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يحتتمل ذلك، وعلم أن الشخص الفاعل لا يبالي بالأمر أو النهي، ولا يكثر بهما لا يجب عليه شيء على المشهور، ولكن لا يترك الاحتياط بإظهار الكراهة فعلاً أو قولاً ولو مع عدم احتمال الارتداع به.

الثالث: أن يكون الفاعل مصراً على ترك المعروف، وارتكاب المنكر فإذا كانت أمانة على ارتداع العاصي عن عصيانه لم يجب شيء، بل لا يبعد عدم الوجود بمجرد احتمال ذلك، فمن ترك واجباً أو فعل حراماً واحتمل كونه منصرفاً عنه أو نادماً عليه لم يجب شيء، هذا واعتبار الإصرار لعله المشهور بين الفقهاء ولكن الظاهر كفاية إحراز عزمه على ترك المعروف وفعل المنكر حدوثاً أو بقاء بحيث يكون توجيه الأمر أو النهي الشخصي إليه في محله عند العقلاء ولو لم يكن متلبساً بالمعصية فضلاً عن توقف الوجوب على الإصرار.

الرابع: أن يكون المعروف والمنكر منجزاً في حق الفاعل، فإن كان معذوراً في فعله المنكر، أو تركه المعروف، لا اعتقاد أن ما فعله مباح وليس بحرام، أو أن ما تركه ليس بواجب، وكان معذوراً في ذلك للاشتباه في الموضوع، أو الحكم اجتهاداً، أو تقليداً لم يجب شيء، وكذا إذا لم يكن معذوراً في فعله في بعض الموارد كما إذا عجز عن الجمع بين امثال تكليفين بسوء اختياره وصراف قدرته في امثال الأهم منها، فإنه لا يكون معذوراً في ترك المهم وإن كانت وظيفته عقلاً الإتيان بالأهم انتخاباً لأخف القبيحين بل والمحرمين، هذا ولو كان المنكر مما لا يرضى الشارع بوجوده مطلقاً كالإفساد في الأرض وقتل النفس المحترمة ونحو ذلك فلا بد من الردع عنه، ولو لم يكن المباشر مكلفاً فضلاً عما إذا كان جاهلاً بالموضوع أو بالحكم .

الخامس: أن لا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر على الأمر في نفسه أو عرضه أو ماله المعتد به، وكذا لا يلزم منه وقوعه في حرج لا يتحملة، فإذا لزم الضرر أو الحرج لم يجب عليه ذلك، إلا إذا أحرز كونه بمثابة من الأهمية عند الشارع المقدس يهون دونه تحمل الضرر أو الحرج، والظاهر أنه لا فرق فيما ذكر بين العلم بلزوم الضرر أو الظن به أو الاحتمال المعتد به عند العقلاء الموجب لصدق الخوف .

وإذا كان في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوف الإضرار ببعض المسلمين في نفسه أو عرضه أو ماله المعتد به فالظاهر سقوط وجوبها، نعم إذا كان المعروف والمنكر من الأمور المهمة شرعاً فلا بد من الموازنة بين الجانبين بلحاظ قوة الاحتمال وأهمية المحتمل فربما لا يحكم بسقوط الوجوب وربما يحكم به .

مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ذكر الفقهاء للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب لا بد من رعاية تدرجها في الأمر والنهي، نذكرها بحسب ما رتبها الفقهاء (قدست أسرارهم) وهي كما يلي:

١- مرتبة القلب: والمقصود بها: أن يعمل الأمر أو النهي عملاً يظهر منه انزجاره القلبي عن المنكر، ومعنى ذلك: أن المطلوب هو إظهار ما في قلب النهي أو الأمر من حالة بغض ونفور من حالة ترك المعروف أو فعل المنكر بطريقة يفهم منها أنه يدعو إلى العودة عن ترك المعروف، والانتفاء عن فعل المنكر.

ولا بد من الالفات إلى أن بعض هذه الأعمال يكون أقل حدة من بعضها الآخر ولذا لا بد من رعاية القاعدة أعلاه حتى في نفس المرتبة فما كان أقل حدة من درجات مرتبة القلب وكان مؤثراً فلا يجوز التجاوز إلى ما هو أشد من نفس المرتبة.

وعن مصاديق هذه المرتبة يقول الفقهاء: (وله درجات كغمض العين، والعبوس والانقباض في الوجه، وكالإعراض بوجهه أو بدنه، وهجره وترك مرادته ونحو ذلك).

٢- مرتبة اللسان: وهي الأمر والنهي لساناً، والمقصود به الأمر للتارك للمعروف أو النهي لفاعل المنكر بواسطة الكلام بحيث يفهم منه الفاعل أو التارك الأمر والنهي، ولا بد من التنبيه إلى أنه لا يلجأ إلى هذه المرتبة إلا إذا لم يحتتمل التأثير بإظهار التنفر القلبي وهو المرتبة الأولى، يقول الفقهاء (قدست أسرارهم): لو علم أن المقصود لا يحصل بالمرتبة الأولى (مرتبة القلب) يجب الانتقال إلى الثانية (اللسان) مع احتمال التأثير.

ولهذه المرتبة كذلك درجات تختلف شدة وليناً فمنها:

الأولى: الوعظ والإرشاد والقول اللين، بأن يعظ الفاعل وينصحه، ويذكر له ما أعد الله سبحانه للعاصيين من العقاب الأليم والعذاب في الجحيم، أو يذكر له ما أعد الله تعالى للمطيعين من الثواب الجسيم والفوز في جنات النعيم، ومع احتمال التأثير بها يجب رعايتها ولا يجوز تعديها إلى ما هو أشد.

الثانية: الأمر والنهي مع علم الأمر أو الناهي عدم تأثير الوعظ والإرشاد بالقول اللين، فينتقل إلى المرتبة الأعلى من الأمر والنهي، ويجب أن يكون من الأيسر في القول إلى الأيسر مع احتمال التأثير ولا يجوز التعدي (لا سيما إذا كان المورد مما يهتك الفاعل به).

الثالثة: غلظة القول والتشديد (مع احتمال التأثير به وعدم احتمال التأثير بها ذكر أعلاه) بأن يشدد في الأمر وبالوعيد على المخالفة.

٣- مرتبة الفعل أو اليد: وهي مرتبة الإنكار باليد ولا يصار إلى هذه المرتبة إلا بالعلم أو الاطمئنان بأن التأثير لا يحصل بأي من المرتبتين الأوليين وله درجات.

الأولى - الحيلولة: بأن يحول بين الفاعل وبين المنكر، كحبس الفاعل ومنعه من الخروج من منزله أو كسر آلة اللهو والمنكر، مع مراعاة الأيسر فالأيسر، وينبغي في هذه الصورة الاستئذان من الفقيه الجامع للشرائط.

الثانية - الضرب والإيلام: الظاهر جوازهما مراعيًا للأيسر فالأيسر وينبغي أخذ الإذن من الفقيه الجامع للشرائط.

الثالثة - الجرح أو القتل: ولا يجوز إلا بإذن الإمام عليه السلام على الأقوى، ويقوم في هذا الزمان الفقيه الجامع للشرائط مقامه مع حصول الشرائط.

ملاحظة: التعدي عن المقدار اللازم في دفع المنكر مع وجود ضرر على فاعل المنكر محرم، ويكون الناهي ضامنًا.



**عقوبة تارك الصلاة
في الكتاب والسنة**

الصلاة من أهم الواجبات الإلهية:

من ضمن أهم الأحكام الإسلامية الضرورية التي لا يختلف إثنان من المسلمين في وجوبها، هو وجوب الصلاة، وقد تضافرت الأخبار من الفريقين - بعد نصوص القرآن الكريم - على أهمية الصلاة واعتبارها عمود الدين ومعراج المؤمن، وإن قُبلت قُبِلَ ما سواها من عمل وإن رُدت رُدَّ ما سواها من عمل، ومثلها كمثل عمود الفسطاط، إذا ثبت العمود يثبت الأوتاد والاطناب، وإذا مال العمود وانكسر، لم يثبت وتد ولا طناب، وهي خير موضوع، فمن شاء أقل ومن شاء أكثر، وهي بعد ذلك صلة العبد بربه وهوية المسلم وعنوان العبودية الحققة لله تعالى ووجه دين المرء ولها من الآثار الدنيوية على صعيد الفرد في نفسه وبدنه وأخلاقه، وعلى صعيد المجتمع في رص الصفوف وإشاعة روح التعاون والمحبة والتسامح الشيء الكثير، وهي من أفضل الأعمال حيث سئل النبي ﷺ عن أفضل الأعمال فقال ﷺ: (الصلاة لأول وقتها)^(١).

وقد سأل معاوية بن وهب الإمام الصادق عليه السلام: عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى الله فقال عليه السلام: (ما أعلم شيئاً بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة، ألا ترى أن العبد الصالح عيسى بن مريم قال: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾)^(٢)، وعن الإمام الباقر عليه السلام: (بني الإسلام على خمسة أشياء،

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٩، ص ٢٢٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٣، ص ٢٦٤.

على الصلاة والزكاة والحج والصيام والولاية. قال زرارة فقلت: وأي شيء من ذلك أفضل؟ فقال عليه السلام: الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن والوالي هو الدليل عليهن، قلت: ثم الذي يلي ذلك في الفضل؟ فقال: الصلاة، إن رسول الله ﷺ قال: الصلاة عمود دينكم^(١)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (أول ما يُحاسب العبد [به] الصلاة، فإن قبلت قبل ما سواها وإن ردت رد ما سواها)^(٢).

عقوبة تارك الصلاة في القرآن الكريم:

ترك الصلاة من الذنوب التي جاء الوعيد عليها بالعذاب في القرآن المجيد:

يقول تعالى: ﴿فِي جَنَاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن المجرمين* ما سَلَكُكُمْ فِي سَقَرٍ* قالوا لِمَ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ* وَكُنَّا نَحْوُضُ مَعَ الْخَائِضِينَ* وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ^(٣)، وقال عز اسمه: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى* وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى* ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى* أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى* ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾^(٤).

وقال سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ الذين هم عن صلاتهم ساهون* الذين هم يراؤونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ^(٥)، والويل هو شدة العذاب، واسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، وهو كلمة العذاب والتنوين فيها لبيان العظمة.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ١٨.

(٢) فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ص ١٢٧.

(٣) سورة المدثر: آية ٤٠ - ٤٦.

(٤) سورة القيامة: آية ٣١ - ٣٥.

(٥) سورة الماعون: آية ٤ - ٧.

وقال عز وجل: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾^(١)، والغى هو واد في جهنم عذابه أشد من عذاب باقي طبقات النار، حتى يستغيث منه أهل جهنم، وقد نُقِلَ عن ابن عباس أن فيه ثعبانا طوله مسير ستين عاما وعرضه مسير ثلاثين عاما ولم يفتح فمه منذ خلق إلا لتارك الصلاة وشارب الخمر.

وقال تقدست آلاؤه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢)، وفي هذه الآية إشارة إلى أن تارك الصلاة هو بمنزلة المشرك، والآيات القرآنية في أهمية الصلاة كثيرة، يكفي منها ما تقدم.

عقوبة تارك الصلاة في الروايات الشريفة:

١- ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من تهاون بصلاته من الرجال والنساء ابتلاه الله بخمس عشرة خصلة، ست منها في دار الدنيا وثلاث عند موته وثلاث في قبره وثلاث يوم القيامة إذا خرج من قبره.

فأما اللواتي تصيبه في دار الدنيا، فالأولى: يرفع الله البركة من عمره، والثانية يرفع الله البركة من رزقه، والثالثة يمحو الله عز وجل سيئات الصالحين من وجهه، والرابعة كل عمل يعمل لا يؤجر عليه، والخامسة لا يرتفع دعاؤه إلى السماء، والسادسة ليس له حظ في دعاء الصالحين.

وأما اللواتي تصيبه عند موته، فأولهن: أن يموت ذليلاً، والثانية: يموت جائعاً، والثالثة: يموت عطشاناً فلو سقي من أنهار الدنيا لم يرو عطشه.

وأما اللواتي تصيبه في قبره، فأولهن: يوكل الله به ملكاً يزعجه في قبره، والثانية: يُضَيَّقُ عليه قبره، والثالثة: تكون الظلمة في قبره.

(١) سورة مريم: آية ٥٩.

(٢) سورة مريم: آية ٣١.

وأما اللواتي تصيبه يوم القيامة إذا خرج من قبره، فأولهن: أن يوكل الله به ملكا يسحبه على وجهه والخلائق ينظرون إليه، والثانية: يحاسبه حسابا شديدا، والثالثة: لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب اليم^(١)، والظاهر أن المراد بالتهاون في الصلاة في هذا الحديث هو عدم أدائها أصلاً، من تهاون بالشيء بمعنى تركه.

٢- وقال ﷺ: (إذا كان يوم القيامة خرج من جهنم جنس من عقرب رأسه في السماء السابعة وذنبه تحت الثرى وفمه من المشرق إلى المغرب، فيقول: أين من حارب الله ورسوله؟ ثم ينزل جبرئيل فيقول: يا عقرب من تريد؟ فيقول: خمسة، تارك الصلاة...)^(٢).

٣- وقال ﷺ أيضاً: (إن في جهنم لوادياً يستغيث منه أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة، وفي ذلك الوادي بيت من نار، وفي ذلك البيت جُبٌّ من نار، وفي ذلك الجب تابوت، وفي ذلك التابوت حية لها ألف رأس وفي كل رأس ألف فم وفي كل فم ألف ناب وفي كل ناب ألف ذراع قال أنس: قلت يا رسول الله ﷺ لمن يكون هذا العذاب؟ قال ﷺ لشارب الخمر وتارك الصلاة)^(٣).

٤- وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة)^(٤).

(١) فلاح السائل للسيد ابن طاووس: ص ٢٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٦، ص ١٤٩.

(٣) إرشاد القلوب للدليمي: ج ١، ص ١٧٣.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٧٢.

عقوبة مُعين تارك الصلاة:

الروايات الواردة في عقوبة المعين لتارك الصلاة عديدة، ولسانها من أشد الألسنة مما يفهم منه عظم هذا الذنب الذي يحاول الشارع سد جميع المنافذ على العبد في ارتكابه، وما التعليل على المعين له إلا إشارة إلى هذا الأمر، فلا عجب بعد أن عرضنا أن تارك الصلاة كافر وخارج عن حد الإيمان أن يكون المعين له بهذه الصفة التي ستعرفها من هذه الأحاديث، منها:

ما ورد عن رسول الله ﷺ قوله: (مَنْ أَعَانَ تَارَكَ الصَّلَاةَ بِلِقْمَةٍ أَوْ كَسْرَةٍ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ سَبْعِينَ نَبِيًّا أَوْ لَهْمَ آدَمَ وَأَخْرَهُمُ مُحَمَّدٌ ﷺ) ^(١)، وقال ﷺ: (مَنْ أَعَانَ تَارَكَ الصَّلَاةَ بِشْرَبَةِ مَاءٍ فَكَأَنَّمَا حَارِبٌ وَجَادِلٌ مَعِيَ وَمَعَ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ) ^(٢)، وقال ﷺ: (مَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِهِ تَارَكَ الصَّلَاةَ فَكَأَنَّمَا هَدَمَ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ سَبْعَ مَرَاتٍ) ^(٣)، والظاهر أن المراد بمثل هذه الأحاديث ما إذا كانت الإعانة والإحسان إلى تارك الصلاة سببا في جرأته على ترك الصلاة، ولا شك أن الإحسان إلى العاصي متى ما كان سببا للجرأة، والاستمرار على المعصية حرام، يجب تركه من باب النهي عن المنكر، وبناءً على ذلك إذا لم تكن معونة تارك الصلاة سببا لجرأته على ترك الصلاة بحيث إن المعونة وعدم المعونة لا أثر لهما في تركه للصلاة، فهذا المورد لا يعلم أنه مشمول للروايات السابقة، بل إن الإعانة والإحسان قد تكون أحيانا سببا لتركه الذنب، وموجبة لأدائه الصلاة، ولا شك أن الإعانة في هذه الصورة أمر حسن، بل تصبح واجبة في بعض الموارد، ومن موارد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(١) لآلئ الأخبار لمحمد نبي بن أحمد التويسركاني: ج ٤، ص ٥١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

قصتان عن ترك الصلاة:

تارك الصلاة في المطار:

خرجت جماعة من إحدى الدول الإسلامية العربية للتبليغ في إحدى الدول الغربية وعند المطار في تنقلاتهم الداخلية بين الولايات، ادركتهم الصلاة فاختراروا ركنا مناسباً في صالة الانتظار نظيفاً وحددوا اتجاه القبلة بالبوصلة، وفرشوا سجاداتهم نحو القبلة وكبروا للصلاة، فكان منظراً روحياً يستهوي القلوب ومشعراً للغير هيبة المقام وانتظام هؤلاء الرجال نحو ربهم العزيز الحميد، فتجمّع بعض من كان في الصلاة خلفهم وعلى الجوانب، يرقبون هذا المنظر الغير مألوف لهم، البعض معجب بانتظام حركة الصف الذي يلي إمام الصلاة، فإن كبرّ كبروا وإن ركع ركعوا بعده، وإن سجد سجدوا، والبعض أعجب بمنظر الجماعة في القيام وهم ينظرون إلى موضع السجود خشوعاً وخضوعاً في صالة تموج بالبشر، لا يلتفتون لأحد، فاجتمع الناس حولهم استطلاعاً وتعظيماً، والبعض أخذ لذلك المشهد صوراً فوتوغرافية، والبعض بكاميرا فيديو مما يحملها المسافرون عادة في تلك الدول وما أكثرها.

وبعد الصلاة والأذكار السنونة، شعرت الجماعة بالإعجاب من الحاضرين وجلّهم غير مسلمين، ومن تجرأ منهم لاستفسار بعد القيام من الصلاة ولف السجادات، وجدوها فرصة للدعوة إلى الله والتعريف لهم بأهمية الصلاة في حياة المسلم يؤديها في وقتها في أي بقعة كان، وأكثر الجماعة يجيدون اللغة الانجليزية، العجيب في القصة أن تقدم أحد الشباب العرب ظاهراً ممن يعمل في تلك الديار وخاطب الجماعة وسط الجماهير المحتفلة

بهم، وبدأ يوبخهم على فعلهم ذلك والصلاة في تلك الزاوية من الصالة، وصار يهذي في الكلام، ومن جملة استنكاره عليهم قوله هذه الجملة، (الناس صعدوا للفضاء وانتم تصلون في المطارات، لقد أشعرتونا بالحياء والخجل أمام الناس) تبسمت الجماعة في وجهه إلا أنه ظل يكرر التوبيخ فأخذه جانبا أحد أفراد الجماعة من ذوي الحكمة والعلم ليتكلم معه، قال المبلغ لذلك الشاب: أنت عربي؟.

- أجب الشاب: نعم.

- عربي مسلم؟.

- أجب الشاب: نعم مسلم.

من أي دولة؟ فأجابه باسم دولته.

- قال المبلغ: هل تصلي؟.

- أجب: لا. - وهنا ضرب المبلغ ضربته وقال هل سبق لك أن صعدت

إلى الفضاء مع من صعدوا؟!.

- أجب المسكين لا.

- فقال المبلغ: يا أخي لم تصعد أنت إلى الفضاء ولا تصلي مع أنك مسلم،

ونحن مثلك لم نصعد للفضاء ولكننا نصلي فمن يفقد أحد الأمرين خير ممن

يفقد الأمرين معاً، فلا نترك الصلاة ونفقد صلتنا بالله مع افتقادنا للوصول

إلى فضائه؟ فسكت الشاب ولم يجبه بكلمة وانسحب خجلاً من نفسه ومن

تعرضه لهم.

عاقبة تارك الصلاة:

هذه قصة حقيقية رويت عن مُغسَّلة للأموات في إحدى الدول الإسلامية

تُكنى بأم أحمد تقول: طلبتني إحدى الأسر لأقوم بتغسيل شابة ميتة لهم،

وبالفعل ذهبت وما أن دخلت البيت حتى أدخلوني في الغرفة التي توجد بها الميثة وبسرعة أغلقوا عليّ الباب بالفتاح، فارتعش جسدي من فعلتهم ونظرت حولي، فإذا كل ما أحججه من غسول وحنوط وكفن وغيره مجهز، والميثة في ركن الغرفة مغطاة بقماش، فطرقت الباب لعليّ أجد من يعاونني في عملية الغسل، ولكن لا محجب، فتوكلت على الله وكشفت الغطاء عن الميثة فصدمت لما رأيت.

رأيت منظرا تقشعر له الأبدان، وجه مقلوب وجسم متيسس ولونها أسود كالح سواد ظلمة.. كنت في السابق قد غسّلت كثيرا من الناس ورأيت أكثر من ذلك، لكن مثل هذه البنت لم أر، فذهبت أطرق الباب بكل قوتي لعليّ أجد جواباً لما رأيت، لكن كأن لا أحد في المنزل، فجلست أذكر الله وأقرأ وأصبر على نفسي حتى هدأ روعي ورأيت أن الأمر سيطول ثم أعانني الله وبدأت التغيليل، ولكن كلما أمسكت عضوا فتفت بين يدي كأنه شيء متعفن، فأتعبني غسلها تعباً شديداً، فلما انتهيت ذهبت لأطرق الباب وأنادي عليهم أفتحوا الباب افتحوا لقد كفتم ميتكم وبقيت على هذه الحال فترة ليست قصيرة، بعدها فتحوا الباب وخرجت أجري لخارج البيت لم اسألهم عن حالها ولا عن السبب الذي جعلها بهذا المنظر.

بعد أن عدت بقيت طريجة الفراش لثلاثة أيام من فعل العائلة بإغلاق الباب ومن المشهد المخيف، وبعدها ذهبت وقلت لهم أسألکم بالله سؤالين:

أما الأول: فلماذا أغلقتم الباب عليّ؟

والثاني: ما الذي كانت تعمله ابتکم؟

فقالوا: أغلقنا عليك الباب لأننا أحضرنا سبع مغسّلات قبلك، فعندما

يرونها يرفضن تغسيلها.

وأما حالها فكانت لا تصلي أبدا. فلا حول ولا قوة إلا بالله هذه حالها وهي لم تدخل القبر بعد، فكيف بحالها يوم القيامة وعندما تدخل النار، وكيف سيكون عذابها بعد ذلك أعاذنا وإياكم الله من عذابه. من لا يتوجه إلى القبلة في حياته لا يتوجه إليها بعد موته: جاء أحدهم بشاب ميت لتغسيله وبعد إنزاله للطاولة شعر المغسّل برائحة كريهة جدا تنبعث من جسده، فتلثم من شدة الرائحة بالرغم من أن الجثة حديثة الموت.

عندما انتهى من الغسل طلب من أخ الميت عدم الصلاة عليه في المسجد، وحضر الإمام الذي رفض أيضا ذلك بسبب الرائحة الكريهة جدا، فصلُّوا عليه في المقبرة، وعندما أنزلوه في القبر أداروا وجهه إلى القبلة وكانت المفاجأة، انحرف وجهه لعكس القبلة، وكرروها ثلاث مرات وكل مرة ينقلب الوجه عكس القبلة... وعندما سُئِلَ أخو الميت - الذي كان مصعوقا من المنظر: ماذا كان يعمل أخوك؟ أجاب كان لا يصلي لله تعالى ولا يعرف اتجاه القبلة في حياته لا حول ولا قوة إلا بالله.



**عقوق الوالدين
في القرآن والسنة**

المدخل:

من الواضح أن نكران الجميل ومكافأة الإحسان بالإساءة، أمران يستنكرهما العقل والشرع، ويستهنجنهما الضمير والوجدان، وكلما عظم الجميل والإحسان كان جحودهما أشد نكراً وأفظع جريرة وإثماً، وبهذا المقياس ندرك بشاعة عقوق الوالدين وفضاعة جرمه، حتى عدّ من الكبائر الموجبة لدخول النار، ولا غرابة فالعقوق - فضلاً عن مخالفته المبادئ الإنسانية، وقوانين العقل والشرع - دال على موت الضمير، وضعف الإيمان، وتلاشي القيم الإنسانية في العاق، فقد بذل الأبوان طاقات ضخمة وجهوداً جبّارة، في تربية الأبناء وتوفير ما يبعث على إسعادهم وازدهار حياتهم مادياً وأدبياً، ما يعجز الأولاد عن تثمينه وتقديره فضلاً عن مجازاته، فكيف يسوغ للأبناء تناسي تلك العواطف والألطف ومكافأتها بالإساءة والعقوق؟.

من أجل ذلك حدّرت الشريعة الإسلامية من عقوق الوالدين أشدّ التحذير، وأوعدت عليه بالعقاب العاجل والآجل، فانظر إلى قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم **عَلَيْهَا**: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾^(١)، وكذلك قوله تعالى في وصف يحيى **عَلَيْهِ**: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾^(٢)، فعقوق الوالدين موجب لصيرورة الإنسان عاصياً شقيماً.

(١) سورة مريم: آية ٣٢.

(٢) سورة مريم: آية ١٤.

والعقوق لا حد له فهو يتحقق بكل قول أو فعل فتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾^(١)، والأف هو أدنى العقوق، ورد عنه الإمام الصادق عليه السلام: (لو علم الله شيئاً هو أدنى من أف، لنهى عنه، وهو من أدنى العقوق، ومن العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه، فيحدّ النظر إليهما)^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: (من أحزن والديه فقد عقهما)^(٣)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (ثلاثة من الذنوب، تعجل عقوبتها ولا تؤخر إلى الآخرة: عقوق الوالدين، والبغي على الناس، وكفر الإحسان)^(٤)، وعن النبي ﷺ: (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟ الإشراف بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور)^(٥)، وعنه ﷺ: (من أدرك والديه ولم يؤد حقهما فلا غفر الله له)^(٦)، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: (ملعون ملعون من ضرب والده أو والدته، ملعون ملعون من عق والديه)^(٧)، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في كلام له: (إياكم وعقوق الوالدين، فإن ربح الجنة توجد من مسيرة ألف عام، ولا يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارٌّ إزاره خيلاء، إنما الكبرياء لله رب العالمين)^(٨)، وقوله ﷺ: (مَنْ أَصْبَحَ مَسْخَطًا لِأَبُوَيْهِ،

(١) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٦١.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٤، ص ٢٦٩.

(٤) أمالي الشيخ المفيد: ص ٢٣٧.

(٥) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٢٤٢.

(٦) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٧، ص ٤٣٥.

(٧) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ٢٨٠.

(٨) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٦١.

أصبح له بابان مفتوحان إلى النار^(١)، وقال الإمام الهادي عليه السلام: (العقوق يعقب القلة، ويؤدي إلى الذلة)^(٢)، والأخبار في ذم العقوق أكثر من أن تحصى، وورد في الحديث القدسي: (بعزتي وجلالي وارتفاع مكاني! لو أن العاق لوالديه يعمل بأعمال الأنبياء جميعاً لم أقبلها منه)^(٣)، وروي أيضاً: (إن أول ما كتب الله في اللوح المحفوظ: إني أنا الله لا إله إلا أنا، من رضي عنه والداه فأنا منه راض، ومن سخط عليه والداه فأنا عليه ساخط)^(٤).

وقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (كل المسلمين يروني يوم القيامة، إلا عاق الوالدين، وشارب الخمر، ومن سمع اسمي ولم يصل عليّ)^(٥).

فينبغي لكل مؤمن أن يكون شديد الاهتمام في تكريم والديه وتعظيمهما واحترامهما، ولا يقصر في خدمتهما، ويحسن صحبتهما، وألا يتركهما حتى يسألاه شيئاً مما يحتاجان إليه، بل يُبادر إلى الإعطاء قبل أن يفتقرا إلى السؤال، كما ورد في الأخبار، وإن أضجراه فلا يقل لهما أف، وإن ضرباه لا يعبس وجهه، وقال لهما: غفر الله لكما، ولا يملأ عينيه من النظر إليهما إلا برحمة ورقة، ولا يرفع صوته فوق صوتهما، ولا يده فوق أيديهما، ولا يتقدم قدامهما، بل مهما أمكن له لا يجلس عندهما، وكلما بالغ في التذلل والتخضع كان أجره أزيد وثوابه أعظم.

وبالجملة: إطاعتها واجبة وطلب رضاها حتم، فليس للولد أن يرتكب

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧١، ص ٨٤.

(٣) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٢، ص ٢٠٢.

(٤) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ١٧٦.

(٥) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٢، ص ٢٠٣.

شيئاً من المباحات والمستحبات بدون إذنهما، ولذا أفتى العلماء بأنه لا يجوز السفر في طلب العلم إلا بأذنهما، إلا إذا كان في طلب علم الفرائض، من الصلاة والصوم وأصول العقائد، ولم يكن في بلده من يعلمه، ولو كان في بلده من يعلمه لم يجز له السفر.

وقد روي: أن رجلاً هاجر من اليمن إلى رسول الله ﷺ وأراد الجهاد، فقال له: (ارجع إلى أبويك فاستأذنهما، فإن أذنا فجاهد، وإلا فبرهما ما استطعت، فإن ذلك خير مما كلف به بعد التوحيد)^(١)، وجاء آخر إليه للجهاد، فقال: (ألك والدة؟ قال: نعم! قال: فالزمها، فإن الجنة تحت قدمها)^(٢).

مساوى العقوق:

للعقوق مساوى خطيرة، وآثار سيئة تنذر العاق وتتوعده بالشقاء الدنيوي والأخروي.

١- فمن آثاره: أن العاق يعقّه ابنه جزاءً وفاقاً على عقوقه لوالديه، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (من برّ والديه برّه ولده)^(٣)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (بروا آبائكم يبركم أبناءكم وعفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم)^(٤)، وقد شهد الناس صوراً وأدواراً من هذه المكافأة على مسرح الحياة.

٢- ومن آثاره: أنه موجب لشقاء العاق، وعدم ارتياحه في الحياة، لسخط الوالدين ودعائهما عليه، وقد جاء في الحديث النبوي عن رسول الله ﷺ: (ياكم ودعوة الوالد، فإنها ترفع فوق السحاب حتى ينظر الله تعالى إليها،

(١) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٢، ص ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ١٧٨.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٥٤.

فيقول: ارفعوها إليّ حتى أستجيب له، فإياكم ودعوة الوالد، فإنها أحد من السيف^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (ثلاث دعوات لا يجبن عن الله تعالى: دعاء الوالد لولده إذا بره، ودعوته عليه إذا عقه...)^(٢).

٣- ومن آثاره: أن العاق يشاهد أهوالاً مريعة عند الوفاة، ويعاني شدائد النزع وسكرات الموت، فعن الإمام الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله ﷺ: (بر الوالدين وصلة الرحم يهونان الحساب، ثم تلى: ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾^(٣))، فواصل الرحم أو البار بالديه يهون عليه الحساب، أما العاق وقاطع الرحم فيبقى الحساب بالنسبة إليه على حاله من الأهوال والشدائد.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (البارُّ يطير مع الكرام البررة، وإن ملك الموت يتسم في وجه البار ويكلِّح في وجه العاق)^(٤)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من أحب أن يُخفف الله عز وجل عنه سكرات الموت، فليكن لقربته وصولاً، وبوالديه باراً، فإذا كان كذلك هوّن الله عليه سكرات الموت، ولم يصبه في حياته فقر أبداً)^(٥).

٤- ومن آثاره: (أنه من الذنوب الكبائر التي توعد الله عليها بالنار، كما صرحت بذلك الأخبار، قال الإمام الصادق عليه السلام: (عقوق الوالدين من الكبائر، لأن الله عز وجل جعل العاق عصياً شقياً)^(٦).

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٥، ص ٢٥٦.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢٨٠.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧١، ص ٩٨.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ١٥، ص ١٧٦.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٤٣٢.

(٦) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٤٧٩.

٥- ومن آثاره: عدم مقبول أعمال العاق عند الله تعالى، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: (ليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة)^(١)، وروي أن موسى عليه السلام قال: (يا رب، أين صديقي فلان الشهيد؟ قال: في النار، قال: أليس وعدت الشهداء الجنة؟ قال: بلى، ولكن كان مصرا على عقوق الوالدين، وأنا لا أقبل من العقوق عملا)^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (من نظر إلى أبويه نظر مامت وهما ظالمان له لم يقبل الله له صلاة)^(٣)، هذا حاله إذا كانا ظالمين، فكيف إذا لم كانا بارين له؟

والجدير بالذكر، أنه كما يجب على الأبناء طاعة آبائهم وبرهم والإحسان إليهم، كذلك يجدر بالآباء أن يسوسوا أبناءهم بالحكمة، ولطف المداراة، ولا يخرجوا بهم فيضطروهم إلى العقوق والعصيان، فعن الإمام الصادق عن آبائه عليهم السلام - في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام - قال: (يا علي، لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما، يا علي، يلزم الوالدين من عقوق ولدهما ما يلزم الولد لهما من عقوقهما، يا علي، رحم الله والدين حملا ولدهما على برهما)^(٤).

قصص عقوق الوالدين:

عاقبة العقوق:

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (إن رسول الله ﷺ حضر شابا عند وفاته، فقال له: قل: لا إله إلا الله، قال: فاعتقل لسانه مرارا، فقال لامرأة عند رأسه: هل لهذا أم؟ قالت: نعم، أنا أمه، قال: أفساخة أنت عليه؟ قالت:

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ١٩٣.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٦٣٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٦٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٤، ص ٢٦٩.

نعم، ما كلمته منذ ست حجج، قال لها: إرضي عنه، قالت: رضي الله عنه يا رسول الله برضاك عنه، فقال له رسول الله ﷺ: قل لا إله إلا الله، قال: فقالمها، فقال النبي ﷺ: ما ترى؟ فقال: أرى رجلاً أسود، قبيح المنظر، وسخ الثياب، متنن الريح، قد وليني الساعة فأخذ بكظمي.

فقال النبي ﷺ: قل (يا من يقبل اليسير، ويعفو عن الكثير، إقبل مني اليسير، واعف عني الكثير، إنك أنت الغفور الرحيم) فقالمها الشاب، فقال له النبي ﷺ: انظر ما ترى؟

قال: أرى رجلاً أبيض اللون، حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، قد وليني، وأرى الأسود وقد وليّ عني، قال: أعد، فأعاد، قال: ما ترى؟ قال: لست أرى الأسود، وأرى الأبيض قد وليني، ثم طفا (أي مات) على تلك الحال^(١).

أعق الناس وأبرهم:

ينقل عن الأصمعي أنه قال: حدثني رجل من الأعراب قال: خرجت من الحي أطلب أعق الناس وأبر الناس، فكنت أطوف بالأحياء، حتى انتهيت إلى شيخ في عنقه حبل، يستقي بدلو لا تطيقه الإبل في الهاجر والحرّ الشديد، وخلفه شاب في يده رشاء من قَدّ ملوي (أي: حبل من جلد)، يضربه به، قد شق ظهره بذلك الحبل، فقلت له: أما تتقي الله في هذا الشيخ الضعيف، أما يكفيه ما هو فيه من هذا الحبل حتى تضربه؟ قال: إنه مع هذا أبي.

قلت: فلا جزاك الله خيراً. قال: اسكت، فهكذا كان يصنع هو بأبيه، وكذا كان يصنع أبوه بجده، فقلت: هذا أعق الناس.

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٦٥.

ثم جُلْتُ أيضاً حتى انتهيت إلى شاب في عنقه زنبيل، فيه شيخ كأنه فرخ، فيضعه بين يديه في كل ساعة، فيزقه الطعام كما يُزُقُّ الفرخ، فقلت له: ما هذا؟ فقال: أبي، وقد خرف، فأنا أكفله، قلت: فهذا أبرّ العرب، فرجعت وقد رأيت أعقّهم وأبرهم^(١).

(١) المحاسن والمساوي للبيهقي: ج ٢، ص ١٩٣.



**الرياء
أسبابه وعلاجه**

المدخل:

إن الرياء داء عضال يغضب الرب، والتحذير منه وصية الأنبياء، فإن الله عز وجل حذّرنا من الرياء في الأقوال والأفعال وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم، لسوء عاقبته، وخدشه في التوحيد، ويبيّن لنا سبحانه أن الرياء يخبط الأعمال الصالحة، وهكذا الروايات الواردة عن النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) حذّرت من الرياء وشددت حرمة، وبعد هذا وذاك فإن الرياء مرض نفسي واجتماعي قلّمًا تخلو منه مجتمعاتنا الإسلامية، وله آثار خطيرة على مستوى الفرد والمجتمع.

وهذه المحاولة تقع في إطار محاربة بعض الظواهر الاجتماعية التي تبتلى بها مجتمعاتنا، وإيجاد الحلول الناجعة لها عن طريق استعراض الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي تعرضت لها، وبيان المساوئ الدنيوية والأخروية التي تنجم منها، لنصل في النهاية إلى تصور كامل عن هذا الداء الخطير الذي يخبط العمل ويسخط الرب ويترك الإنسان فريسة ذنوبه وآثامه حيث لا منجي يومئذ من الله وعذابه إلا من أتى الله بقلب سليم.

معنى الرياء:

الرياء لغة: مصدر قولهم: راءه يرائيه رياء ومرآة، وهو مشتق من الرؤية، والمراد به إظهار العبادة، ليراها الناس فيحمدوا صاحبها. والرياء اصطلاحاً: وهو طلب المنزلة في قلوب الناس بإراءتهم خصال

الخير أو ما يدل عليها من الآثار، بأي عمل اتفق، فهو من أصناف طلب الجاه.

الرياء في القرآن الكريم:

قد ورد ذم الرياء في الكتاب في آيات عديدة:

١- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ...﴾^(١)، فقد قرن الله تعالى في هذه الآية الشريفة بين الرياء وإبطال العمل.

٢- وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢)، وهنا عطف الله تعالى عدم الإيمان بالله ولا باليوم الآخر على الرياء، واعتبرهما صفتين متلازمتين في الإنسان فمتى وجدت الأولى وجدت الأخرى.

٣- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ﴾^(٣)، وهنا يبين الله سبحانه صفتين للمرائي، وهما الكسل عن العبادة في الخلوة، وخداع الناس، وبين واقع الحال وهو أن المخدوع نفس المرائي لا الناس، لأنه في الحقيقة يخسر عمله في الآخرة ولا يحصل من الناس على شيء.

٤- وقال تعالى: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤)، وهذه صفة المرائي الرئيسية، وهي عدم ذكر الله تعالى حقيقة بينه وبين نفسه إلا

(١) سورة البقرة: آية ٢٦٤.

(٢) سورة النساء: آية ٣٨.

(٣) سورة النساء: آية ١٤٢.

(٤) سورة النساء: آية ١٤٢.

قليلاً، فهو ليس له دافع يدفعه إلى العمل لله تعالى بل يعمل لإرضاء الناس.

الرياء في الروايات:

١- المرائي مشرك: قال شدّاد بن أوس: رأيت رسول الله ﷺ يبكي فقلت: ما يبكيك؟ قال: (إني تخوفت على أمّتي الشرك، أما إنهم لا يعبدون صنماً ولا شمساً ولا قمراً ولكنهم يراءون بأعمالهم)^(١) وهذا الحديث الشريف صريح في وصف المرائي بالمشرك، فهو يشرك في عمله الذي يكون لله غيره من خلقه.

وقال رسول الله ﷺ: (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء، يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالها: أذهبوا إلى الذي كنتم تراءون في الدنيا، فانظروا: هل تجدون عندهم الجزاء)^(٢)، وقال أبو عبدالله عليه السلام: (كل رياء شرك، إنه من عمل للناس كان ثوابه على الناس ومن عمل لله كان ثوابه على الله)^(٣).

٢- المرائي يخدع نفسه: عن الإمام الصادق عن أبيه عليه السلام: إن رسول الله ﷺ سئل: (فيما النجاة غداً فقال: إنما النجاة في أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه، ويخلع منه الإيمان، ونفسه يخدع لو يشعر، فقيل له: وكيف يخادع الله؟ قال: يعمل بما أمره الله، ثم يريد به غيره، فاتفقوا الله واجتنبوا الرياء، فإنه شرك بالله، إن المرائي يُدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك وبطل أجرك، ولا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢، ص ١٧٩.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦٩، ص ٢٦٦.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٩٦.

خلاق لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له^(١).

٣- الجنة حرام على المرأئي: عن النبي ﷺ قال: (إن الجنة تكلمت وقالت: إني حرام على كل بخيل ومُراء)^(٢).

٤- المرأئي لا يستحي من الله: عن الكاظم عليه السلام أنه قال: (وينبغي للعاقل إذا عمل عملاً أن يستحي من الله - إذ تفرّد بالنعم - أن يشارك في عمله أحداً غيره)^(٣).

٥- جهنم تعج من المرأئين: قال رسول الله ﷺ: (إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء، فقيل: يا رسول الله وكيف تعج النار؟ قال: من حرّ النار التي يعذبون بها)^(٤).

٦- جزاؤه النار: عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (يجاء بالعبد يوم القيامة قد صلى فيقول: يا رب قد صليت ابتغاء وجهك، فيقال له: بل صليت ليقال: ما أحسن صلاة فلان اذهبوا به إلى النار)^(٥)، وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قال النبي ﷺ: (إن المَلَك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به فإذا صعد بحسناته يقول الله عز وجل: اجعلوها في سجين إنه ليس إياي أراد بها)^(٦).

٧- المرأئي يكله الله إلى من عمل له: عن أبي عبد الله عليه السلام: (أنه قال لعباد بن كثير البصري في المسجد: ويلك يا عباد إياك والرياء فإنه من عمل لغير

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٦٧٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦٩، ص ٣٠٥.

(٣) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ص ٢٩٧.

(٤) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١، ص ١٠٧.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١، ص ٧٢.

(٦) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٩٦.

الله وكله الله إلى مَنْ عمل له^(١).

٨- المرائي منافق: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (ما زاد خشوع الجسد على ما في القلب فهو عندنا نفاق)^(٢)، وهذا الوصف الدقيق هو حقيقة الرياء، إذ الرياء أن لا يكون ما يظهر على تصرفات الشخص نابغاً من قلبه ونيته في العبادة، بل هو لأمر آخر، وهو إراءة الناس ذلك، لكسب مدحهم وثوابهم من دون الله.

٩- الله يقلل عمل المرائي في أعين الناس: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من أراد الله عز وجل بالقليل من عمله أظهر الله له أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه وسهر من ليله أبى الله عز وجل إلا أن يقلله في عين من سمعه)^(٣)، وهذه العقوبة وحدها كافية لردع المرائي عن الرياء لو تأمل وأنصف من نفسه، وسبحان الله الرحيم كيف يردع الإنسان عن الوقوع في الهلكة وينقذه منها بعقوبته.

١٠- علامات المرائي: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (ثلاث علامات للمرائي: ينشط إذا رأى الناس، ويكسل إذا كان وحده، ويجب أن يحمد في جميع أموره)^(٤).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٩١.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٩٦.

(٤) المصدر السابق.

أسباب الرياء:

إن أصل الرياء هو حب الدنيا ونسيان الآخرة، وقلة التفكير فيما عند الله، وقلة التأمل في آفات الدنيا وعظيم نِعَم الآخرة وأصل ذلك كله حب الدنيا وحب الشهوات، وهو رأس كل خطيئة، ومنع كل ذنب لأن العبادة إذا كانت لله تعالى كانت خالية من كل ما يشوبها لا يريد بها إلا وجه الله تعالى والدار الآخرة، وميل الإنسان إلى حب الجاه، والمنزلة في قلوب الناس، والرغبة في نعيم الدنيا، هو الذي يعطب القلب، ويجول بينه وبين التفكير في العاقبة والاستضاءة بنور العلوم الربانية، وقد ذكرت للرياء أسباب عديدة، ومعرفتها مفيدة في العلاج، ومفيدة للوقاية منه، وستعرض لبيان بعضها على النحو الآتي:

١- **النشأة الأولى:** إذ قد ينشأ الولد في أحضان بيت دأبه وديدنه الرياء أو السمعة، فينشأ على هذا الأمر حتى يصبح جزء لا يتجزأ من شخصيته.

٢- **الصحة أو الرفقة السيئة:** وقد تحتويه صحة أو رفقة سيئة، لا هم لها إلا الرياء أو السمعة، فيقلدهم ويحاكيهم، لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية، شديد التأثير بغيره، وبتوالي الأيام يتمكن هذا الداء من نفسه، ويطبعا بطابعه، لذلك من الضروري أن تكون الصحة طيبة تحترم شرع الله وتعمل به.

٣- **الرغبة في الصدارة أو المنصب:** وقد تدفع الرغبة في الصدارة أو في المنصب إلى الرياء أو السمعة، حتى يثق به من بيدهم هذا الأمر، فيجعلوه في الصدارة أو يبوؤوه المنصب، ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على اختبار أو ابتلاء الناس قبل الوثوق بهم، أو الركون إليهم لاسيما إذا كانوا على

حال يتوقع منهم ذلك.

٤- الطمع بما في أيدي الناس: وقد يحمله الطمع بما في أيدي الناس، والحرص على الدنيا إلى الرياء أو السمعة ليثق به الناس، وترق قلوبهم له فيعطونه ما يملئ جيبه، ويشبع بطنه.

٥- إشباع غريزة حب الثناء من الناس: وقد يدعو حب المحمدة، أو الثناء من الناس إلى الرياء وتنتفخ نفسه، بذلك والعياذ بالله.

٦- إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال: وقد يكون إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال، هو الباعث على الرياء أو السمعة، كي يكون هناك مزيد من هذا الإعجاب.

٧- الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة: وأخيراً قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة هي السبب في مراعاة الناس، فإن من جهل أو غفل عن عاقبة شيء ما، لا سيما إذا كانت هذه العاقبة ضارة، تؤدي إلى هذا الفعل ولازمه، حتى يصير خُلُقاً له.

علاج الرياء:

أما الأدوية العلمية القالعة لجذور الرياء فمنها:

١- استحضار مراقبة الله تعالى للعبد: فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال في وصيته لأبي ذر: (يا أبا ذر اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك)^(١)، فمن استشعر رقابة الله له في أعماله يهون في نظره كل أحد، ويوجب له ذلك التعظيم والمهابة لله تعالى.

٢- أن يسعى الإنسان إلى الاتصاف بصفة الصلاح والإخلاص: قال

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٢٦.

رسول الله ﷺ: (إن أعلى منازل الإيمان درجة واحدة، من بلغ إليها فقد فاز وظفر وهو أن ينتهي بسيرته في الصلاح إلى أن لا يبالي لها إذا ظهرت ولا يخاف عقابها إذا استترت)^(١).

٣- ليعلم أن الرياء موجب للمقت من الله ومعرض للخزي في الدنيا والآخرة: حيث ينادى على المرئي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد: يا فاجر يا غاوي يا مرئي أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله عرض الدنيا، راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله وتحببت إلى العباد بالتبغص إلى الله، وتزينت لهم بالشين عند الله وتقربت إليهم بالبعد من الله وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله، أما كان أحد أهون عليك من الله)^(٢).

٤- الرياء يعرض صاحبه في الدنيا إلى الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق: فإن رضا الناس غاية لا تُدرَك، فكلمنا رضي عنه فريق سخط عليه فريق آخر، ومن طلب رضا الناس في سخط الله سخط الله عليه وأسخطهم أيضاً عليه.

٥- أن يتذكر المرئي أن مدح الناس وذمهم لا ينفعه عند الله يوم القيامة: وأي غرض يتحقق له في مدح الناس وإيثار ذم الله تعالى لأجل حمدهم؟.

٦- ليعلم المرئي أن الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الرياء وإظهاره الإخلاص لمقتوه: وسيكشف الله تعالى عن سره حتى يُبغضه إليهم ويُعرفهم أنه مرءٍ ممقوت عند الله تعالى، ولو أخلص لله لكشف الله لهم إخلاصه وحببه إليهم وسخرهم له وأطلق ألسنتهم بحمده.

٧- ليعلم المرئي أن مدح الناس لا ينفعه وهو مذموم عند الله ومن أهل النار: وذمهم لا يضره وهو محمود عند الله في زمرة المقربين وكيف يضره

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧١، ص ٣٦٩.

(٢) مجموعة ورام لأبي فراس المالكي الأشتري: ص ٩٩.

ذمهم أو كيدهم والنبى ﷺ يقول: (من آثر محامد الله على محامد الناس كفاه الله مؤنة الناس)^(١)، وقال النبى ﷺ: (من أصلح أمر آخرته أصلح الله أمر دنياه، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس)^(٢).

٨- ينبغي أن يذكر الإنسان شدة حاجته وقوة فاقته يوم القيامة إلى ثواب أعماله: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٣)، فإن العمل الصالح يقول لصاحبه عند أهوال القيامة: (اركبني ولطالما ركبتك في الدنيا فيركبه ويتخطى به شدايدها)^(٤).

٩- ترك صحبة المعروفين بالرياء: ثم الارتقاء في أحضان المخلصين الصادقين، فإن ذلك له دوره في إقلاع النفس عن هذه الآفة، حتى تبرأ منها تماماً.

١٠- الوقوف على أخبار المرئيين، ومعرفة عواقبهم: فإن ذلك مما يساعد على تجنب هذا الداء، أو هذه الآفة، لئلا تكون العاقبة كعاقبة هؤلاء.

وأما الدواء العملي فإنه يعود نفسه إخفاء العبادات ويغلق دونها الأبواب كما يفعل بالفواحش ويقنع باطلاع الله وعلمه، ولا ينازع نفسه إلى طلب علم غير الله فلا دواء أنجح من ذلك، وكان عيسى عليه السلام يقول للحواريين: (إذا صام أحدكم صوماً فليدهن رأسه ولحيته ويمسح شفتيه بالزيت لئلا يرى الناس أنه صائم، وإذا أعطى بيمينه فليخف عن شماله، وإذا صلى فليرخ ستر بابه، فإن الله يقسم الثناء كما يقسم الرزق)^(٥)، وذلك وإن شق في

(١) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ص ٢١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة الشعراء: آية ٨٨-٨٩.

(٤) عدة الداعي لابن فهد الحلي: ص ٢١٦.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٢٠.

بداية المجاهدة، لكن إذا صبر عليه مدة بالتكلف سقط عنه ثقله وهان عليه بتواصل ألطف الله وما يمد به من حسن التوفيق والتأييد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾^(١)، فَمِنَ الْعَبْدِ الْمَجَاهِدَةِ وَمِنَ اللَّهِ الْهُدَايَةَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢).

(١) سورة الرعد: آية ١١ .

(٢) سورة التوبة: آية ١٢٠ .



**الغيبة
بواعثها وعلاجها**

معنى الغيبة ومواردها:

الغيبة: هي أن يُذكر المؤمن بعيب في غيبته، والظاهر اختصاصها بصورة وجود سامع يُقصد إفهامه وإعلامه أو ما هو في حكم السامع، كما لو سُجل الكلام لكي يسمعه شخص بعد ذلك، وهي من أحسن السجايا، والأمر الصفات، وأخطر الجرائم والآثام.

وقد عرّف الرسول الأعظم ﷺ الغيبة عندما سأله أبو ذر قائلاً: (...يا رسول الله وما الغيبة؟ قال: ذكرك أخاك بما يكره، قلتُ: يا رسول الله فإن كان فيه الذي يُذكر به، قال: اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبتته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتته^(١)، وقال الإمام موسى بن جعفر عليه السلام: (من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لم يعرفه الناس فقد اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهتته)^(٢).

وبناء على هذه الروايات وروايات أخرى غيرها، فإذا كان العيب الموجود في المؤمن غير خفي على السامع وغيره، فإنَّ نقله ليس غيبة، وإن دخل تحت عنوان المذمة والإيذاء والاستخفاف بالمؤمن - إن كان يؤذيه نقله - ولذا فهو حرام من جهة هذه العناوين الأخرى.

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٣٧.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٨، ص ٦٠٤.

الغيبة في القرآن الكريم:

١- يقول تعالى في سورة النور: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١). قال الإمام الصادق عليه السلام: (من قال في مؤمن ما رآته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾)^(٢).

٢- في سورة الحجرات يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٣)، وهذه الآية صريحة في النهي عن الغيبة لمكان وجود (لا) الناهية وفي التعبير بعد ذلك بقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾، من البلاغة وروعة البيان ما لا يخفى، حيث نفر تعالى عن الغيبة مشبهاً إياها بأكل لحم الإنسان الميت، الذي لا يختلف اثنان في استهجانها واستقبحها.

٣- قال تعالى في سورة الهمزة: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾، جاء في تفسير مجمع البيان: هذا وعيد من الله سبحانه لكل مغتابٍ غيَّابٍ مشاءٍ بالنميمة مفرِّق بين الأحبة، وقيل: الهمزة المغتاب واللمزة الطعان، وقيل: الهمزة الذي يهزم الناس بيده ويضرهم، واللمزة الذي يلزمهم بلسانه وبعينه. وأما (ويلٌ) فهو اسم لدركة من دركات جهنم، أو اسم لواد فيها، وتستعمل للتعبير عن شدة العذاب.

وبناءً على ذلك فإن الغيبة من الذنوب التي جاء الوعيد عليها بالعذاب في أكثر من موضع من القرآن المجيد، فهي من الكبائر.

(١) سورة النور: آية ١٩.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ٢٨٠.

(٣) سورة الحجرات: آية ١٢.

الغيبة في الروايات:

ورد في الروايات الشريفة الصادرة عن النبي الأعظم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ذم عظيم للغيبة، ووصفت المغتاب بأوصاف عجيبة، نذكر فيما يلي بعض هذه الأخبار:

١- قال رسول الله ﷺ: (الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه)^(١)، وهذا التشبيه في الرواية يصف الغيبة بأنها تأكل دين الإنسان مشبهاً إياه بمرض الآكلة الذي يأكل بدنه، إذ أن المغتاب - كما ورد في بعض الروايات - يعطي من حسناته لمن اغتابه ليرضيه يوم القيامة أو يأخذ من سيئات من اغتابه وعلى كل حال فهو نقصان من دينه.

٢- قال ﷺ: (تحرم الجنة على ثلاثة: على المتأن، وعلى المغتاب، وعلى مدمن الخمر)^(٢)، وعبارة: (تحرم الجنة) فيه من الشدة ما لا يخفى، إذ أن (تحرم) هنا بمعنى (تتمنع) الجنة فلا يدخلها كل واحد من هؤلاء.

٣- قال ﷺ: (من اغتاب مؤمناً، فكأنما قتل نفساً متعمداً)^(٣)، وهذا التشبيه لتشنيع الفعل وبيان شدته.

٤- قال ﷺ: (من اغتاب مسلماً أو مسلمة، لم يقبل الله تعالى صلاته ولا صيامه أربعين يوماً وليلة، إلا أن يغفر له صاحبه)^(٤)، وعدم قبول الصلاة والصيام مع أدائها طبعاً، كما ورد في شارب الخمر، وإلا فلو لم يؤدها مرتكباً لكبائر أخرى هي ترك الصلاة والصيام.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٥٧.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ٢٨١.

(٣) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٩، ص ١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ج ٧، ص ٣٢٢.

٥- قال ﷺ: (يؤتى بأحد يوم القيامة يوقف بين يدي الله، ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته، فيقول: إلهي ليس هذا كتابي فإني لا أرى فيها طاعتي، فقال: إن ربك لا يضل ولا ينسى، ذهب عملك باغتيال الناس، ثم يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيها طاعات كثيرة، فيقول: إلهي ما هذا كتابي فإني ما عملت هذه الطاعات، فيقول: إن فلانا اغتابك، فدفعت حسناته إليك^(١))، وهذا من أشد العقوبات للمتأمل، إذ يكفي كلمة واحدة تصدر من الإنسان في حق أخيه لتنتقل حسناته إليه وتنتقل سيئات ذلك الشخص إلى المغتاب، ولا يُدرى بعد ذلك ما هي سيئاته؟ إذ قد تكون مما يوجب الدخول في النار والعياذ بالله.

٦- قال ﷺ: (كذب من زعم أنه وُلد من حلال، وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة، اجتنبوا الغيبة فإنها إدام كلاب النار)^(٢)، وفي هذا من التشنيع والتفطيع ما لا يحتاج إلى بيان.

٧- في خبر معاذ الطويل المشهور عن النبي ﷺ: (إن الحَفَظَةَ تصعد بعمل العبد وله نور كشعاع الشمس حتى إذا بلغ السماء الدنيا والحفظة تستكثر عمله وتزكيه فإذا انتهى إلى الباب قال الملك الموكل بالباب اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه أنا صاحب الغيبة أمرني ربي أن لا أدع عمل من يغتاب الناس يتجاوزني إلى ربي)^(٣).

٨- قال رسول الله ﷺ: (مررت ليلة أُسري بي، على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم، فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين

(١) جامع الأخبار للشيخ محمد بن محمد السبزواري: ص ١٧١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧٢.

(٣) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٦، ص ١٤٢.

يغتابون الناس، ويقعون في أعراضهم^(١).

٩- قال عليه السلام: (رأيت ليلة الإسراء رجالاتا تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قيل: من هم؟ قال: الذين يغتابون الناس)^(٢).

١٠- قال عليه السلام: (إن عذاب القبر من النسيمة، والغيبة، والكذب)^(٣).
وما مرّ في مضامين هذه الأحاديث الشريفة عن النبي صلى الله عليه وآله من أعظم ما يوصف به ذنب من الذنوب، وهو دليل على عظم الغيبة عند الله وسوء عاقبتها في الدنيا والآخرة، فلا بد من تطهير ألسنتنا منها ثم لتطهر مجتمعاتنا شيئاً فشيئاً من هذا الداء الخطير.

بواعث الغيبة:

الأسباب الباعثة على الغيبة كثيرة، ونحن نشير إلى بعضها إجمالاً:
الأول: تشفي المعتاظ وذلك إذا غضب على شخص لسبب ما، فإنه إذا هاج غضبه يتشفى بذكر مساوئ هذا الشخص، وسبق اللسان إليه بالطبع إن لم يكن عنده دين وورع، فيصير حقداً ثابتاً فيكون سبباً دائماً لذكر المساوئ، فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة.

الثاني: موافقة الأقران ومجاملة الرفقاء ومساعدتهم على الكلام، فإنهم إذا كانوا يتفكهون بذكر الأعراض، فيرى أنه لو أنكر أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه، فيساعدتهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن أنه مجاملة في الصحبة.

الثالث: إرادة الافتخار والمباهاة وهو أن يرفع نفسه بتفقيص غيره،

(١) مجموعة ورام لأبي فراس المالكي الأشتري: ص ١١٥.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٩، ص ١٢٦.

(٣) جامع الأخبار للشيخ محمد بن محمد السيزواري: ص ١٧٢.

فيقول: فلان جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف، وغرضه أن يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم أنه أفضل منه، أو يحذر أن يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

الرابع: الحسد، وهو أنه ربما يحسد من يشي الناس عليه ويحبونه ويكرمون، فيريد زوال تلك النعمة عنه، فلا يجد سبيلا إليه إلا بالقدح فيه، فيريد أن يسقط اعتباره عند الناس، حتى يكفوا عن إكرامه والثناء عليه، لأنه يثقل عليه أن يسمع ثناء الناس عليه وإكرامهم له وهذا هو الحسد، والحقد والحسد قد يكونا مع الصديق المحسن والقريب الموافق.

الخامس: اللعب والهزل وقضاء الوقت بالضحك، فيذكر غيره بما يُضحك الناس عليه، وهذا الفعل من اللهو المحرم.

السادس: السخرية والاستهزاء استحقارا له، فإن ذلك كما يجري في الحضور فإنه يجري أيضا في الغيبة ومنشؤه التكبر واستصغار للمستهزأ به.

السابع: الرحمة، وهو أن يحزن ويغتم بسبب ما ابتلي به غيره، فيقول: المسكين فلان قد غمّني ما ارتكبه من القبح، أو ما حدث به من الإهانة والاستخفاف! فيكون صادقا في اغتمامه، إلا أنه لما ذكر اسمه وأظهر عيبه صار مغتابا، وقد أمكن له الاغتمام بدون ذكر اسمه وعيبه، فأوقعه الشيطان فيه ليبطل ثواب حزنه ورحمته.

الثامن: الغضب لله تعالى، فإنه قد يغضب على مُنكر قارفه إنسان فيُظهر غضبه ويذكر اسمه ليبطل به على غير وجه النهي عن المنكر، وكان الواجب أن يظهر غضبه عليه على ذلك الوجه خاصة، وهذا مما يقع فيه الخواص أيضا فإنهم يظنون أن الغضب إذا كان لله تعالى كان عذرا كيف كان وليس كذلك. هذا وقد روي عن مولانا الصادق عليه السلام، التنبية عليها إجمالا بقوله عليه السلام:

(أصل الغيبة تتنوع بعشرة أنواع: شفاء غيظ، ومساعدة قوم، وتصديق خبر بلا كشف، وتهمة، وسوء ظن، وحسد، وسخرية، وتعجب وتبرم، وتزين...) (١).

علاج الغيبة:

إن الطريق في علاج الغيبة اجمالاً، يمكن بيانه في النقاط التالية:

١ - مضافاً إلى ذم الغيبة الوارد في الآيات والروايات، فإن العقل أيضاً حاكم بأن الغيبة أخبث الرذائل، وقد كان السلف لا يرون العبادة في الصوم والصلاة، بل في الكف عن أعراض الناس، لأنه كان عندهم أفضل الأعمال، ويرون خلافه صفة المنافقين، ويعتقدون أن الوصول إلى المراتب العالية في الجنة يتوقف على ترك الغيبة، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: (من حَسُنَتْ صَلَاتُهُ وَكَثُرَ عِيَالُهُ، وَقَلَّ مَالُهُ وَلَمْ يَغْتَبْ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ) (٢).

٢ - أن يتذكر مفسدها الأخروية والتي ذكرت بعضها الآيات والروايات المتقدمة، بأن يعلم أنه بغيته سوف يتعرض لسخط الله تعالى، وأن يعلم بأن الغيبة تحبط حسناته، فإنها تنقل في القيامة حسناته إلى من اغتابه بدلاً عما أخذ من عرضه، فإن لم يكن له حسنات نُقِلَ إليه من سيئات المغتاب، ولا ريب في أن العبد يدخل النار إذا ترجحت كفة سيئاته، وربما تنقل إليه سيئة واحدة مما اغتاب به مسلماً، فيحصل به الرجحان ويدخل لأجله النار، وأقل ما في المقام أن ينقص من ثواب صالحات أعماله، وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والمناقشة في الحساب وهذه كلها من شدائد يوم القيامة،

(١) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٩، ص ١١٧.

(٢) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٢، ص ٢٣٥.

فإن أصل الوقوف للحساب يوم القيامة من أهوال القيامة فضلاً عن نفس الحساب، كما فيه من المهانة والخوف من العقاب وذل السؤال وغيره مما لا يحصى ولا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

روي عن بعضهم: (أن رجلاً قيل له: إن فلانا قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من رطب، وقال: بلغني أنك قد أهديت إليّ من حسناتك، فأردت أن أكافيك عليها، فاعذرني، فإني لا أقدر أن أكافيك على التمام) وهو مع ذلك متعرض لمقت الله تعالى ومشبهه عنده بأكل الميتة، إلى غير ذلك من المفاسد.

٣- أن يتذكر مفاسدها في الدنيا، فإنه قد تصل الغيبة إلى من اغتاب، فتصير منشأ لعداوته أو لزيادة عداوته، فيتعرض لإيذاء المغتاب وإهانته، وربما انجر الأمر بينهما إلى ما لا يمكن تداركه من الضرب والقتل وأمثال ذلك.

٤- وينفعه أن يتذكر عيوب نفسه ولا يغفل عنها، فيتجسس على عيوب إخوانه، ويظهرها بين الناس، فما باله يبصر القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذع في عينه.

فإذا أردت أن تذكر عيوب غيرك، فتذكر عيوبك، وتيقن بأنك لن تصيب حقيقة الإيمان، حتى تمتنع من أن تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بإصلاح ذلك العيب في نفسك، وإذا كان شغلك إصلاح عيوب نفسك، لم تكن فرصة للاشتغال بغيرك، ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: (من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره)^(١)، وطوبى لمن أشغله عيوبه عن عيوب الناس، وحينئذ كنت من أحب العباد إلى الله لقول النبي ﷺ: (طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه)^(٢).

(١) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص ٥٣٦.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ٢٨٩.

فيجب أن يتدبر الإنسان في نفسه فإن وجد فيها عيبا، فينبغي أن يستحيي من أن يترك نفسه ويذم غيره، بل ينبغي أن يعلم أن عجز الغير في التزهر عن ذلك العيب كعجزه إن كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره، وإن كان أمرا خَلَقيا فالذم له ذم للخالق، فإن من ذم صنعة فقد ذم الصانع، قال رجل لبعض الحكماء يا قبيح الوجه فقال: (ما كان خلق وجهي إلي فأحسنه).

وإن لم يجد عيبا في نفسه فليشكر الله ولا يلوث نفسه بأعظم العيوب، فإن ذكّر عيوب الناس وأكل لحم الميتة من أعظم العيوب فيصير حينئذ ذا عيب، بل لو أنصف من نفسه، لعلم أنّ ظنّه بنفسه أنه بريء من كل عيب هو حقيقة الجهل بنفسه وهو من أعظم العيوب.

٥- وينفعه أن يعلم أنّ تلمّ غيره بغيبته كتألمه بغيبة غيره له، فإذا كان لا يرضى لنفسه أن يغتاب فينبغي أن لا يرضى لغيره ما لا يرضاه لنفسه، فعن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قلت له: (ما حق المسلم على المسلم؟ قال: ... أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك)^(١).

٦- إن العاقل يبغي أن يتأمل في أن من يغتابه إن كان صديقا ومجبا له، فأظهار عيوبه وعثراته بعيد عن المروءة والإنصاف، وإن كان عدوا له، فتحمل خطاياهم ومعاصيهم ونقل حسناتهم إلى ديوانه غاية الحماقة والجهل.

٧- وبعد ذلك فليراقب لسانه، ويُقدّم التروّي في كل كلام يريد أن يتكلم به، فإن تضمن غيبة سكت عنه، وكلف نفسه ذلك على الاستمرار، حتى يرتفع عن نفسه الميل الجلي والخفي إلى الغيبة.

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ٢٠٥.



الكذب
أنواعه مساوؤه علاجه

المدخل:

الحمد لله الذي أمر بالصدق ونهى عن الكذب في كل وقت وحين،
والصلاة والسلام على نبينا محمد الملقب بالصادق الأمين وعلى آله الطيبين
الطاهرين.

اقتضت ضرورة العقول مطابقة لمقتضى الفطرة أن الكذب من قبائح
الصفات ورذائلها فهو يأتي بالخراب على النفوس ويجعل الديار بلاقع، لذا
أرشدت الأدلة الأربعة: القرآن، والسنة، والإجماع، والعقل، إلى مبعوضيته
وحرمته.

فلو استعرضنا القرآن الكريم والروايات الشريفة التي تتكلم عنه وكيف
أنها تصفه بأبشع الأوصاف، وتشدد على تركه معلنة أن النار مثوى لفاعله،
علمنا أنه من الذنوب الكبيرة، بل أن بعض النصوص تصرح بعده من أكبر
الكبائر، فقد روي أن رسول الله ﷺ قال: (ألا أخبركم بأكبر الكبائر؟
الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وقول الزور)^(١)، وروي عن الإمام
العسكري عليه السلام: (جعلت الكبائر كلها في بيت واحد وجعل مفتاحها
الكذب)^(٢).

ولا فرق في حرمة الكذب بين أن يكذب بلسانه أو بقلمه أو بالإشارة،
وأيضا لا فرق بين أن يتدعى هو بالكذب ويخترعه، أو يكون مسبوقا به وهو

(١) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٢٤٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٦٩، ص ٢٦٣.

ناقل له بلا تبيين.

أمّا ما ورد في القرآن الكريم وبقية مصادر التشريع عن حرمة وصفات فاعليه وشدة العقوبة المناسبة لراكبه، فيبانه كالاتي:

الكذب في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكُذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١)، وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾^(٢)، وقال جل وعلا: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾^(٣)، وقد يؤدي الكذب بصاحبه أن يكون ممن يستحق اللعن والغضب الإلهي، قال تعالى: ﴿فَنَجْعَلُ لُغْتًا لِّلَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

الكذب في الروايات:

الأخبار الواردة في عظم ذنب الكذب وشدة عقوبته ومفسدته ومضرته كثيرة منها:

قال رسول الله ﷺ: (المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك، وخرج من قلبه نتن حتى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية، أهونها كمن زنى مع أمه)^(٥).

وقال ﷺ: (إن العبد ليكذب الكذبة فيتباعه الملك منه مسيرة ميل من نتن ما جاء به)^(٦).

(١) سورة النحل: آية ١٠٥.

(٢) سورة الزمر: آية ٣.

(٣) سورة الجاثية: آية ٧.

(٤) سورة آل عمران: آية ٦١.

(٥) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٩، ص ٨٧.

(٦) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ٢، ص ٢٤٩.

وجاء في وصيته عليه السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام: (يا علي إياك والكذب، فإن الكذب يُسود الوجه، ثم يُكتب عند الله كذّابا، وإن الصدق يُبيّض الوجه ويُكتب عند الله صادقا، واعلم أن الصدق مبارك والكذب مشؤوم)^(١).

وقال عليه السلام: (يا علي أنهارك عن ثلاث خصال عظام: الحسد والحرص والكذب)^(٢).

وعنه عليه السلام: (الكذب رأس النفاق وهو مفسدة عظيمة في الدنيا والدّين)^(٣).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يَعدّ أحدكم صبيّه ثم لا يفِي له، إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال: كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى في قلبه موضع إبرة صدق، فيسمى عند الله كذّابا)^(٤).

وعنه عليه السلام: (... اعتياد الكذب يورث الفقر)^(٥).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إن الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل، فإذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق)^(٦).

(١) تحف العقول لابن شعبة الحرّاني: ص ١٣.

(٢) الخصال للشيخ الصدوق: ج ١، ص ٦٢.

(٣) شرح أصول الكافي للمازندراني: ج ١، ص ٢٥٢.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٥٠٥.

(٥) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٥٠٤.

(٦) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٥١.

أنواع الكذب:

للکذب أنواع مختلفة بحسب المناشئ النفسية التي تدفع الإنسان إلى الكذب يمكن تلخيصها بالأنواع الآتية.

الكذب الادعائي: ينشأ هذا الكذب عادة من الشعور بالنقص، حيث يحاول تعظيم ذاته وجعلها مركزاً للانتباه والإعجاب، فنراه يتحدث عن أفعاله وقوته، فهو يدعي ما ليس له من الصفات والأفعال إرضاءً لشعوره بالنقص.

الكذب الانتقامي: يظهر هذا النوع من الكذب في حالات الغيرة والحسد أو الشعور بعدم المساواة، فقد نرى أن بعض الناس يكذبون فيتهمون الآخرين الذين يكرهونهم باتهامات يترتب عليها عقابهم أو تشويه سمعتهم.

الكذب الدفاعي: فقد يقدم الشخص على الكذب خوفاً من العقوبة، فيلجأ للكذب للهروب من تلك العقوبة، كما نراه واضحاً عند الأطفال وهو ينشأ عن ضعف الشخصية.

الكذب العنادي: ينتشر هذا النوع من الكذب عند بعض المجادلين؛ فلاجل مضادة صاحبه يحاول أن يخلق شيئاً لمجرد المعاندة، وهذا النوع سببه عدم الإذعان للحق والتعصب الأعمى للمذهب أو الرأي الذي يعتقد به.

الكذب التقليدي: فالطفل مثلاً نراه يكذب منطلقاً من تقليد من حوله كالآباء والأصدقاء، فهو يتولد عند الإنسان من التربية الخاطئة التي يتلقاها من أبويه فلا يتحسس بعد ذلك قبح الكذب، وقد ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه قال: (ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه اللذان

يهودانه وينصرانه وبمجانته^(١)، وخطورة هذا النوع تكمن في أن الكذب يكون مرضياً، لذا فهو من أخطر حالات الكذب فقد يصبح عند الإنسان عادة وقد يصل إلى حد الإكثار منه ويصدر عنه بالرغم من محاولة عدم الكذب.

مساوئ الكذب:

إنما حرمت الشريعة الإسلامية (الكذب) وأوعدت عليه بالهوان والعقاب، لما ينطوي عليه من أضرار خطيرة، ومساوئ جمّة، والتي منها:

١- الفضيحة وذهاب ماء الوجه وانهايار المكانة الاجتماعية للشخص الكاذب، فهو باعث على سوء السمعة، وسقوط الكرامة وسلب الثقة منه لدى الناس، فلا يُصدّق الكذاب وإن نطق بالصدق، ولا تقبل شهادته، ولا يوثق بمواعيده وعهوده.

٢- إنّه يجر الإنسان إلى أن يكذب مرّات عديدة، وقد يدفع بصاحبه إلى أن يسلك في خط النفاق ويصبح من زمرة المنافقين، لأنّ الكذب فرع من فروع النفاق، والكاذب هو الذي يُظهر غير ما يُبطن ويتكلم بخلاف الواقع وبخلاف ما يعلمه في نفسه، فهذا الاختلاف بين الظاهر والباطن سوف يسري بالتدريج إلى سائر أعماله وسلوكياته حتى يُمسي منافقاً كاملاً، وقد ورد في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: (الكذب يؤدي إلى النفاق)^(٢).

٣- عدم استفادة الناس من لياقاته وطاقاته الإيجابيّة، لأنهم سوف يتعاملون معه من موقع الشك والتردد في سلوكياته وكلماته، ولهذا السبب

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ١٢٥.

(٢) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٦٧٧.

نجد أنّ الروايات الإسلامية نزلت للكاذب منزلة الميت، حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: (الكاذب والميت سواء، فإن فضيلة الحي على الميت الثقة به، فإذا لم يوثق بكلامه فقد بطلت حياته)^(١).

٤- إنه يُضعف ثقة الناس بعضهم ببعض، ويشيع فيهم أحاسيس التوجس والتناكر.

٥- وقد يخفى على الكثير ما للكذب من مضرة على الصحة، فقد أثبت العلم الحديث، أن الإنسان عندما يكذب يستهلك دماغه طاقة أكبر مما يستهلكه في حالة الصدق!: (... لأن الكذب عملية معقدة فيها التصور... والتخيل... والاختراع... والتركيب... والتأليف...)، وهذا بدوره يؤثر سلباً على الذاكرة والقلب وضغط الدم وغيره...!

٦- وفوق كل ما مرّ للكذب آثار روحية سيئة، ومغبة خطيرة، أشارت إليها النصوص السالفة والتي منها ابتعاد الملائكة عن الكاذب وحرمانه من صلاة الليل وعدم قبول بعض عباداته... إلى كثير من الآثار السلبية، التي ذُكرت في الروايات، وسطّرتها كتب العلماء، فمنها ما يتسبب في حرمان الإنسان من الرزق ويؤدّي به إلى الوقوع في هوة الفقر والمسكنة، ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ أنه قال: (الكذب ينقص الرزق)^(٢)، وهذا النقصان في الرزق يمكن أن يكون ناتجاً من أسباب معنوية واجتماعية على حد سواء، لأنّ الكذب يسلب اعتماد الناس وثقتهم من هذا الشخص الكاذب، فيعزل اجتماعياً مما يؤثر على نفسيته بشكل سلبي.

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٦٧٧.

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي: ج ٣، ص ٦٣٣.

مراتب الكذب:

بعد مراجعة الروايات الواردة في المقام يُعلم أن الكذب له عدة مراتب بعضها من الكبائر قطعاً وبعضها أكبر الكبائر، ولأجل مزيد الاطلاع نذكر مراتب الكذب:

١- الكذب على الله تعالى والرسول ﷺ والإمام عليّ عليه السلام: إن أسوأ مراتب الكذب، الكذب على الله تعالى والرسول والإمام (صلوات الله عليهم)، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِيَتَفَرَّوْا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(١)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الكذب على الله وعلى رسوله من الكبائر)^(٢)، والكذب على الرسول ﷺ والإمام عليّ عليه السلام هو أن يخترع حديثاً من عنده ثم ينسبه إليهما، أو يسمع حديثاً من شخص أو يراه في كتاب وهو يعلم بأنه كذب، ومع ذلك ينسبه إلى الإمام عليّ عليه السلام أو إلى الرسول ﷺ، نعم إذا يقن بصحة حديث من خلال القرائن الموجودة، فإنه يجوز له نقله ونسبته إلى المعصوم.

وورد في بعض الروايات أن العبد إذا أشهد الله على أمر خلاف الواقع قال تعالى: (أَلَمْ تَجِدْ مِنْهُ أَوْعَفٌ مِنْ نِيَّيْتِهِ تَشْهَدُهُ عَلَى ذَلِكَ)، وهذا القسم من الكذب بالإضافة إلى حرمة التكليفية في نفسه فإنه يبطل الصوم، إذا كان متعمداً فيه.

٢- القَسَمُ والشهادة والكتمان: من جملة موارد الكذب التي لاشك في أنها من الكبائر القَسَمُ الكاذب، والشهادة الكاذبة، وكتمان الشهادة.

(١) سورة النحل: آية ١١٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٣٩.

أما اليمين الكاذبة: فهي من أبشع صور الكذب وأشدّها خطراً وإثماً، فإنها جناية مزدوجة وجرأة صارخة على المولى عز وجل بالحلف به كذباً وهبتاناً، وجريمة نكراء تمحق الحقوق وتهدر الكرامات، فمن أجل ذلك جاءت النصوص في النكير على فاعلها وذمها والتحذير منها: قال رسول الله ﷺ: (إياكم واليمين الفاجرة، فإنها تدع الديار من أهلها بلاع)^(١).

وأما شهادة الزور وكتماها: فهي جريمة خطيرة، وظلم سافر هدام، تبعث على غمط الحقوق، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: (لا ينقض كلام شاهد الزور من بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار، وكذلك من كتم الشهادة)^(٢).

٣- الكذب الضار: من جملة أقسام الكذب التي لاشك في أنها من الكبائر، وهو الكذب الذي فيه مضرّة ومفسدة، وطبعاً كلما كانت مفسدته ومضرته أكبر كان إثمّه وعقوبته أشد، وقد يكون الكذب أحياناً سبباً لتلف الأموال، وهتك الحرمة، وإسالة الدماء، ولذا يكون هذا النوع من الكذب أيضاً من أشد أنواع الكذب لأنه يضيف إلى حرمة الكذب حرمة الإيذاء وبعض العناوين المحرمة الأخرى كالتسبب في القتل أو هتك العرض أو إضاعة الأحوال وتلفها.

٤- حرمة الكذب حتى لو كان بدافع المزاح والهزل: ينبغي التورع عن كل أنحاء الكذب حتى لو كان بدافع المزاح والهزل، فعن أبي ذر في وصية النبي ﷺ له: (وإن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم ما بين السماء والأرض، يا أبا ذر: ويل للذي يُحدّث فيكذب

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٣، ص ٢٠٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٧، ص ٣٨٣.

لِيُضْحِكَ الْقَوْمَ، وَيَلْهَى، وَيَلْهَى، وَيَلْهَى (١)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده) (٢)، وما قلناه حول حرمة الكذب هازلاً إنما هو في صورة ما إذا لم يكن فيه جرح لفؤاد المؤمن، وإيذاء له، وإلا فلا شك أنه من الذنوب الكبيرة حينئذ، لأنه يدخل في الكذب الضار المتقدم ذكره.

علاج الكذب:

١- أن يتأمل في ما ورد في ذمّه من الآيات والأخبار، ليعلم أنه لو لم يتركه لأدركه الهلاك الأبدي.

٢- ليتذكر أن كل كاذب ساقط عن القلوب في الدنيا ولا يعتني أحد بقوله، وكثيراً ما يفتضح عند الناس بظهور كذبه، ومن أسباب افتضاحه أن الله سبحانه يسلط عليه النسيان، حتى أنه لو قال شيئاً ينسى أنه قاله، فيقول خلاف ما قاله، فيفتضح، وإلى ذلك أشار الصادق عليه السلام بقوله: (إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان) (٣).

٣- ليتأمل في الآيات والأخبار الواردة في مدح ضده، أعني الصدق.

٤- ليقدم التروي في كل كلام يريد أن يتكلم به، فإن كان كذباً يتركه.

٥- وليجتنب مجالسة الفساق وأهل الكذب، ويجالس الصلحاء وأهل

الصدق، ليزول عنه تدريجياً الكذب ويتحلى بالصدق بسبب طول المعاشرة، ومخافة الهجران.

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٥٣٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٤٠.

(٣) المصدر السابق: ج ٢، ص ٣٤١.



الغضب
أسبابه وعلاجه

المدخل:

الغضب حالة نفسية، تبعث على هياج الإنسان، وثورته قولاً أو عملاً، وهو مفتاح الشرور، ورأس الآثام، وداعية الأزمات والأخطار، والغضب استجابة لانفعال يتميز بالميل إلى الاعتداء.

فالغضب من المهلكات العظيمة، التي تؤدي بالإنسان إلى فعل ما يندم عليه من الاعتداء بالضرب أو الشتم بل ربما أدى إلى الشقاوة الأبدية بارتكاب القتل، ولذا قيل: (إنه جنون دفعي)، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (الحدة ضرب من الجنون، لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم)^(١).

الغضب في الروايات:

١- من وصية لرسول الله ﷺ لرجل، حين قال له: أوصني، فقال ﷺ: (لا تغضب، ثم أعاد عليه، فقال: لا تغضب، ثم قال: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٢).

٢- قال رسول الله ﷺ: (الغضب جمرة من الشيطان)^(٣).

٣- وعنه ﷺ: (ثلاث خصال من كُنَّ فيه فقد حاز خصال الخير: من إذا قدر لم يتناول ما ليس هو له، وإذا غضب لم يخرج غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل)^(٤).

(١) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص ١٣٥.

(٢) تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص ٤٧.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٤، ص ١٥١.

(٤) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١١، ص ١٨٩.

١٠٤ قد أفلح من زكاها

٤- سُئِلَ أميرُ المؤمنين عليه السلامُ مَنْ أَحْلَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: (الَّذِي لَا يَغْضَبُ)^(١).

٥- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَنْ أَطْلَقَ غَضْبَهُ تَعَجَّلَ حَتْفَهُ)^(٢).

٦- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (بَسُّ الْقَرِينِ الْغَضَبُ: يَبْدِي الْمَعَائِبَ، وَيَدِينِي الشَّرَّ،

وَيَبَاعِدُ الْخَيْرَ)^(٣).

٧- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الْغَضَبُ نَارٌ مَوْقُودَةٌ، مَنْ كَظَمَهَا أَطْفَأَهَا، وَمَنْ أَطْلَقَهَا

كَانَ أَوَّلَ مُحْتَرَقٍ بِهَا)^(٤).

٨- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْ كِتَابٍ لَهُ إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ -: (وَاحْذَرِ الْغَضَبَ

فَإِنَّهُ جَنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ)^(٥).

٩- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ غَضْبُهُ وَشَهْوَتُهُ فَهُوَ فِي حَيْزِ الْبَهَائِمِ)^(٦).

١٠- عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (الْغَضَبُ مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ)^(٧).

١١- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: (مَنْ لَمْ يَغْتَبْ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ لَمْ يَغْضَبْ فَلَهُ الْجَنَّةُ،

وَمَنْ لَمْ يَحْسُدْ فَلَهُ الْجَنَّةُ)^(٨).

١٢- وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (الْغَضَبُ يُفْسِدُ الْإِيمَانَ كَمَا

يُفْسِدُ الْخَلَّ الْعَسَلَ)^(٩).

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٤٧٨.

(٢) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٢٦٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٢٦٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

(٧) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٨) جامع الأخبار للشيخ محمد بن محمد السبزواري: ص ١٨٦.

(٩) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٠٢.

آثار الغضب:

للغضب آثار سلبية على ظاهر الإنسان وباطنه، فمن آثار الغضب في الظاهر تغير اللون وشدة الرعدة في الأطراف وخروج الأفعال عن الترتيب والنظام، واضطراب الحركة والكلام.

وأما أثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش، وقبيح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول، ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب، في حين يكون هذا الكلام مسجلاً من قبل الملك الموكل به فيكتب عليه سيئات يجازى عنها يوم القيامة.

وأما أثره في القلب مع المغضوب عليه، فالحقد والحسد، وإظهار السوء والشماتة بالمساءة، والحزن بالسرور، والعزم على إفشاء السر وهتك الأستار والاستهزاء، وغير ذلك من القبائح، فهذه ثمرة الغضب المفرط وقد أشير إلى بعضها في الأخبار.

أضرار الغضب:

للغضب أضرار جسيمة، وغوائل فادحة، تضرّ بالإنسان فرداً ومجتمعاً، جسماً ونفسياً، مادياً وأديباً، فكم غضبة جرحت العواطف، وشحنت النفوس بالأضغان، وفصمت عرى التحابب والتآلف بين الناس، وكم غضبة زجّت أناساً في السجون، وعرضتهم للمهالك، وكم غضبة أثارت الحروب، وسفكت الدماء، فراح ضحيتها الآلاف من الأبرياء.

كل ذلك سوى ما ينجم عنه من المآسي والأزمات النفسية، التي قد تؤدي إلى موت الفجأة، أو التي تخلف أمراضاً مزمنة يضل يعاني الإنسان منها طوال عمره.

أسباب الغضب:

لا يحدث الغضب عفواً واعتباطاً، وإنما ينشأ عن أسباب وبواعث تجعل الإنسان مرهف الإحساس، سريع التأثر، ولو تأملنا تلك البواعث، وجدناها مجملة على الوجه التالي:

١- قد يكون منشأ الغضب انحرافاً صحياً، كاعتلال الصحة العامة، أو ضعف الجهاز العصبي، مما يسبب سرعة التهيج.

٢- وقد يكون المنشأ نفسياً، منبعثاً عن الإجهاد العقلي، أو المغلاة في الأنانية، أو الشعور بالإهانة، والاستنقاص، ونحوها من الحالات النفسية، التي سرعان ما تستفز الإنسان، وتستثير غضبه، كما في الخبر: (... قالوا: وما بدؤ الغضب؟ قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس)^(١).

٣- وقد يكون المنشأ أخلاقياً، كتعود الشراسة، وسرعة التهيج، مما يوجب رسوخ عادة الغضب في صاحبه.

هل يمكن إزالة الغضب؟ وما هي طرق علاجه؟

اختلف علماء الأخلاق في إمكان إزالة الغضب بالكلية وعدمه، فقيل: قمع أصل الغضب من القلب غير ممكن، لأنه مقتضى الطبع، إنما الممكن تضعيفه، حتى لا يشتد هيجانه، وفي مقابله قيل: الغضب المذموم ممكن الزوال، ولولا إمكانه لزم وجوده للأنبياء والأوصياء، ولا ريب في بطلانه وهو الأرجح.

وعلى كل حال فعلاج الغضب يتوقف على أمور، وربما حصل ببعضها:

١- إزالة الأسباب المهيجة له، إذ علاج كل علة بحسم مادتها، وهي

(١) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٦.

العجب، والفخر، والكبر، والغدر، واللجاج، والمرء، والمزاح، والاستهزاء، والتعير، والمخاصمة، وشدة الحرص على فضول الجاه والأموال الفانية، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مهلكة، ولا خلاص من الغضب مع بقائها، فلا بد من إزالتها حتى تسهل إزالة الغضب.

٢- أن يتذكر قبح الغضب وسوء عاقبته، وما ورد في الشريعة من الذم عليه، كما تقدم.

٣- أن يتذكر ما ورد من المدح والثواب على دفع الغضب في موادره، ويتأمل فيما ورد من فوائد عدم الغضب، كما ورد في جملة من الروايات، ففي الحديث النبوي: (إذا جُمع الخلاق يوم القيامة نادى مناد أين أهل الفضل؟ فيقوم أناس وهم يسير فينطلقون سراعاً إلى الجنة، فتلقاهم الملائكة، فيقولون: إننا نراكم سراعاً إلى الجنة، فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون: ما كان فضلكم؟ فيقولون: كنا إذا ظلمنا صبرنا، وإذا أسئء إلينا عفونا، وإذا جُهل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين)^(١)، وعن زيد بن علي عليه السلام قال: (أوحى الله عز وجل إلى نبيه داود عليه السلام): (إذا ذكرني عبدي حين يغضب ذكرته يوم القيامة في جميع خلقي ولا أحقه فيمن أحق)^(٢)، إلى غير ذلك من الأخبار وسيأتي جملة من ذلك.

٤- أن يتذكر فوائد ضد الغضب، أعني: الحلم وكظم الغيظ، وما ورد من المدح عليهما في الأخبار، ويواظب على مباشرته ولو بالتكلف، فيتحلّم وإن كان في الباطن غضباناً، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إن لم تكن حليماً فتحلّم،

(١) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٤٣٤.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٠، ص ٢٦٦.

فإنه قلَّ مَنْ تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم^(١)، وإذا فعل ذلك مدة صار عادة مألوفة هنيئة على النفس، فتنقطع عنها أصول الغضب، وستأتي بعض الروايات في ذلك.

٥- أن يحترز عن مصاحبة أرباب الغضب، والذين يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب، ويُسمون ذلك شجاعة ورجولة، فيقولون: نحن لا نصبر على كذا وكذا، ولا نحتمل من أحد أمراً، ويختار مجالسة أهل الحلم، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس.

٦- أن يعلم أن ما يقع إنما هو بقضاء الله وقدره، وأن الأشياء كلّها مسخرة في قبضة قدرته، وأن كل ما في الوجود من الله، وأن الأمر كله لله، وأن الله لا يُقدَّر له إلا ما فيه الخير، وربما كان صلاحه في جوعه أو مرضه، أو فقره، أو جرحه أو قتله، أو غير ذلك، فإذا علم بذلك غلب عليه التوحيد، ولا يغضب على أحد، ولا يتأذى بما يرد عليه، إذ يرى - حينئذ - أن كل شيء أسير في قبضة قدرته تعالى، كالقلم في يد الكاتب، ففي الحديث القدسي: (إن من عبادي المؤمنين عبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالغنى والسعة والصحة في البدن فأبلوهم بالغنى والسعة وصحة البدن فيصلح عليهم أمر دينهم، وإن من عبادي المؤمنين لعبادة لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم، فيصلح عليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين...) ^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (عجبت للمؤمن إن الله لا يقضي له بقضاء إلا كان خيراً له، إن أغناه كان خيراً له وإن ابتلاه كان خيراً له، وإن ملكه ما بين المشرق

(١) نهج البلاغة تحقيق صالح: ص ٥٠٦.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٦٠.

والمغرب كان خيرا له، وإن قرض بالمقارض كان خيرا له، وفي قضاء الله للمؤمن كل خير^(٣).

٧- أن يتذكر أن الغضب مرض قلب ونقصان عقل، صادر عن ضعف النفس ونقصانها، لا عن شجاعتها وقوتها، ولذا يكون المجنون أسرع غضباً من العاقل، والمريض أسرع غضباً من الصحيح، والشيخ الهرم أسرع غضباً من الشاب، وصاحب الأخلاق السيئة والرذائل القبيحة أسرع غضباً من صاحب الفضائل، ولذا قال سيد الرسل ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٤).

٨- أن يتذكر أن قدرة الله عليه أقوى وأشد من قدرته على هذا الضعيف الذي يغضب عليه، ولم يأمن إذا أمضى غضبه عليه أن يمضي الله عليه غضبه في الدنيا والآخرة، وقد روي: (أنه ما كان في بني إسرائيل ملك إلا ومعه حكيم، إذا غضب أعطاه صحيفة فيها: ارحم المساكين، واخش الموت، واذكر الآخرة، فكان يقرأها حتى يسكن غضبه)^(٥)، وورد أيضاً: (يا ابن آدم! اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب، ولا أمحك فيمن أمحك)^(٦).

٩- أن يتذكر أن مَنْ يمضي عليه غضبه رباً قوي وتشمّر لمقابلته، وجرّد عليه لسانه بإظهار معائبه والشّاتة بمصائبه، ويؤذيه في نفسه وأهله وماله وعرضه.

١٠- أن يعلم أن الله يحب منه ألا يغضب، والحبيب يختار ما يحب محبوبه،

(٣) مشكاة الأنوار للشيخ علي الطبرسي: ص ٥٢١.

(٤) ميزان الحكمة للشيخ محمد الريشهري: ج ٣، ص ٢٢٦٦.

(٥) جامع السعادات للشيخ النراقي: ج ١، ص ٢٦١.

(٦) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٠، ص ٣٥٠.

فإن كان محباً لله فليطفئ غضبه بشدة حبه لله.

١١- أن يسكت الغاضب ويتروى، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إذا غضبت فاسكت)^(١)، فإن هذا التروى يخفف حدّة التوتر والتهيج، ويعيده إلى الرشد والصواب، ولا يُنال ذلك إلا بضبط النفس، والسيطرة على الأعصاب.

١٢- ومن علاج الغضب الاستعادة بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فإنه المهيج للغضب كما ذكر، والاستعانة به تعالى على كفايته وتتأدى الوظيفة بالبسملة، وكان ﷺ إذا غضبت عائشة أخذَ بأنفها، وقال: (يا عويش قولي: اللهم رب النبي محمد، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضلات الفتن)^(٢).

١٣- ومن علاج الغضب: جلوس الغاضب إذا كان قائماً، واضطجاعه إن كان جالساً والنزول إن كان راكباً، فقد روي عن النبي ﷺ: (أن الغضب جمرة في قلب ابن آدم فَمَنْ وجد من ذلك شيئاً فليلصق خده بالأرض)^(٣).

وكذا الوضوء أو الغسل بالماء البارد كما ورد عن النبي ﷺ: (إذا غضب أحدكم فليتوضأ وليغتسل، فإن الغضب من النار)، وفي رواية: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما يطفئ النار الماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ)^(٤).

وكذلك مس يد الرحم إن كان مغضوباً عليه، فإنه من مهدئات الغضب،

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٠، ص ٢٧٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

فقد روي: (أَيُّ رَجُلٍ غَضِبَ عَلَى ذِي رَحْمٍ فَلْيَدُنُّ مِنْهُ فَلْيَمَسَّهُ فَإِنَّ الرَّحْمَ إِذَا مُسَّتْ سَكُنَتْ) (١).

فضيلة كظم الغيظ:

١- قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللَّهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ اعْتَذَرَ إِلَى رَبِّهِ قَبْلَ اللَّهِ عَذْرَهُ، وَمَنْ خَزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ) (٢).

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضَاهُ) (٣)، وفي رواية أخرى: (حِشَا اللَّهُ قَلْبَهُ أَمْنًا وَإِيمَانًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٤).

٣- وقال ﷺ: (مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفِذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَخِيرُهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ) (٥).

٤- وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ كَظَمَ غَيْظًا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِزًّا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَأَثَابَهُ اللَّهُ مَكَانَ غَيْظِهِ ذَلِكَ) (٦).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٠٢.

(٢) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٣٠٨.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ١٧٧.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ١١٠.

(٥) المحجة البيضاء للفيض الكاشاني: ج ٥، ص ٣٠٩.

(٦) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٣١٠.



**حرمة الغناء
والموسيقى وأثارهما
على الفرد والمجتمع**

المدخل:

قد تتسالم الشعوب على أمر أو فكرة وهي من الأمور الخاطئة تنتشر حتى تصبح مألوفة لدرجة أن من يعترض عليها، بل حتى من لا يميل إليها يعتبر شاذاً لا قيمة له، ومن تلك الأمور الخاطئة: الإدمان على الغناء، فهو يعتبر من الآفات الخطيرة التي ابتليت بها مجتمعاتنا الإسلامية، فأصبح شبابنا اليوم -ومع الأسف الشديد- شغلهم الشاغل هو الغناء والموسيقى، فتراه يقضي ساعات طويلاً في سماع الغناء في البيت وفي الطريق وفي عمله...، فلذا ينبغي التنبيه على هذا الأمر الخطير والوباء المنتشر، فمن أراد الوقاية فعليه أن يعرف أولاً أسباب الداء وآثاره الخطيرة على الفرد والمجتمع حتى يقي نفسه منه، ومن أراد الشفاء والخلاص من هذا الذنب الكبير فعليه أن يعرف الدواء، ونحن بدورنا نبين أسباب هذا الوباء وآثاره وعلاجه، ف﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١).

ما هو الغناء:

الغناء -بالكسر والمد- لغة، هو: الصوت المُطرب، سواء أكان مصحوباً بآلات الموسيقى أم غير مصحوب، قال ابن الأثير: وكل مَنْ رفع صوته ووالاه، فصوته عند العرب غناء، والموالاة في الصوت: ترجيعه، وهو تقارب ضروب حركات الصوت والنفس، فيلزم بذلك الإطراب والتطريب، وأما

(١) سورة ق: آية ٣٧.

الطرب فهو: خفة تصيب الإنسان لشدة حزن أو سرور.
وأما عند الفقهاء، فالغناء هو الكلام اللهوي - شعرا كان أم نثرا - الذي يُؤتى به بالألحان المتعارفة عند أهل اللهو واللعب، وفي مقومية الترجيع والمد له إشكال، والعبارة بالصدق العرفي، ولا يجوز أن يقرأ بهذه الألحان القرآن المجيد والأدعية والأذكار ونحوها بل ولا ما سواها من الكلام غير اللهوي على الأحوط وجوبا^(١).

ويفهم من هذا التعريف: أن المقوم للغناء أمران، هما:
المادة: وهي نفس الكلام المتغنى به، فلا بد أن يكون لهويا، أي: الكلام الباطل الذي ليس فيه منفعة دنيوية أو أخروية، بل قد يكون من الكلام الفاحش أو المثير للشهوة أو غير ذلك.

الألحان: فلا بد أن تكون من نوع ما يتعارف عند أهل اللهو واللعب.
فعند اجتماع هذين الأمرين يكون هو القدر المتيقن من الغناء الذي وردت الروايات في حرمة وذمه... إلخ.

وهناك فرد آخر مشكوك دخوله في الغناء المحرم، وهو ما كان فيه المقوم الثاني فقط، وهو ألحان أهل اللهو واللعب، أما المادة فقد تكون قرآنا أو دعاء أو ذكرا أو غير ذلك من الأمور الراجحة، وهذا الفرد مما اختلفت فيه أقوال الفقهاء، فقد ذهب جمع منهم السيد الخوئي رحمته إلى حرمة أيضا، وكذا غيره، وأما السيد السيستاني (دام ظله) فقد احتاط وجوبا، فإما أن يعتبر حراما أو يرجع إلى غيره في حكمه، الأعلم فالأعلم.

(١) منهاج الصالحين للسيد السيستاني: ج ٢، ص ١٠، م ٢٠.

آثار الغناء على المجتمعات:

لو نظرنا إلى المجتمعات البائدة لرأينا أن أحد أسباب انهيارها: الغناء وأخواه (الموسيقى والرقص)، يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا﴾^(١)، فإن الغناء والموسيقى من أوضح مصاديق الفسق المشار إليه في الآية الكريمة، فعندما يتعلّق النَّاسُ بالغناء، خاصةً الفئةُ الشابة منهم، فهذا يعني انصرافهم عن شؤون الأمة، وعن الدين، والقيم الأخلاقية، والمستقبل، والبناء، والجدية، والتضحية، والفداء، والشجاعة، والعلم...، والدليل الحاسم على ذلك كله، ما نعيشه اليوم في مجتمعاتنا، بعد انتشار الفضائيات وقبلها الإذاعات، والتي تستأثر الفترة الأطول لبثها بالأغاني التي تُؤدِّي إلى الميوعة والانحلال والمجون والفسوق، وإن حاول البعض في السنوات الأخيرة تسمية ذلك (فنًا) أو (إبداعًا)!!!.

آثار الغناء على الأفراد:

الغناء يُفقد الإنسان توازنه، حتى يصرفه عن الطاعة، والعبادة، وطلب العلم، حتى الواجب منه، فيبتعد قلبه عن الله، لأنَّ المرء إذا تعلّق قلبه بالغناء صار شغله الشاغل ومعبوده الأُوحد الذي لا يعبد سواه...، ألا ترى كيف أنَّ بعض مَنْ استحوذ الغناء عليهم فأنساهم ذكر الله تعالى، يستمعون إليه في المنزل، والحمام، والسيارة، والمقهى، والسهرة، والعرس والحفلات العامة، وعند لقاء الحبيب يقول الله تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢)، لذا فإنَّ

(١) سورة الإسراء: آية ١٦.

(٢) سورة المجادلة: آية ١٩.

البعض، - نعوذ بالله تعالى - قال عن المطرب الفلاني: معبود الجماهير!!!
فكيف يُمكن لهذا أن يعبد الله حقاً، تعبداً ورقاً؟

وقد ورد عن رسول الله ﷺ: (الغناء يُنبِت النفاق في القلب كما يُنبِت الماء البقل)^(١)، وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (الغناء مما وعد الله عزَّ وجلَّ عليه النار، وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ هُمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢)، فإنَّ أكثر ما يُسبب فقد الإنسان العزم والإرادة هو الاستماع للغناء.

والحاصل: الغناء يُؤثِّر على الإيمان تأثيراً مباشراً، نعوذ بالله تعالى، فكيف يُحافظ على إيمانه مَنْ حرص على إحياء سنن الجاهلية، وخالف السُّنة النبويَّة الشريفة؟!.

الموسيقى من كبائر الذنوب:

من الذنوب الكبيرة التي ورد التصريح بأنَّها من الكبائر هو اللهو بالآلات الموسيقية بمختلف أنواعها مثل (الناي) و(الكمنجة) و(البيانو) و(الطنبور) ونظائرها، وهكذا الاستماع إليها، كما جاء في رواية مفصلة عن الإمام الرضا عليه السلام يذكر فيها تعداد الكبائر إلى أن يقول: (... والاشتغال بالملاهي)^(٣).

وباتفاق جميع الفقهاء يعتبر صنع وشراء وبيع آلات اللهو والتعامل بها باطلاً، كما هو في آلات القمار، وحفظها حرام أيضاً وإتلافها واجب، كما روي ضمن حديث مفصل عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (إنما حَرَّمَ

(١) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٦، ص ٤٣١.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ٣٢٩.

الله الصناعة التي هي حرام كلها التي يجيء منها الفساد محضاً، نظير الرباط والمزامير والشطرنج وكل ملهوبه، والصلبان والأصنام وما أشبه ذلك... إلى أن قال عليه السلام: فحرام تعليمه وتعلمه والعمل به وأخذ الأجرة عليه، وجميع التقلب فيه من جميع وجوه الحركات^(١).

الموسيقى والغناء في أخبار أهل البيت عليه السلام:

الأخبار الواردة في حرمة الغناء واستعمال آلات اللهو كثيرة، منها: ما ورد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أنهاكم عن الزفن (أي: الرقص)، والمزمار، وعن الكوبات (أي: الطبل) والكبرات (أي: الطبل ذو الرأسين)^(٢)، وعنه عليه السلام: (في قوله عز وجل: ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾، قال: الغناء)^(٣)، وعن عبد الأعلى قال: (سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾، قال: الرجس من الأوثان: الشطرنج، وقول الزور: الغناء. قلت: قول الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ﴾، قال: منه الغناء)^(٤)، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: (أن رجلاً سأله عن سماع الغناء، فنهى عنه، وتلا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُورًا﴾ وقال: يُسأل السمع عما سمع، والفؤاد عما عقد، والبصر عما أبصر)^(٥).

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٨٥.

(٢) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣١٣.

(٣) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣٠٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣٠٩.

(٥) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٣، ص ٢٢١.

الأثار المترتبة عليهما:

وهناك آثار سلبية للغناء والموسيقى نذكر منها:

أولاً: إعراض الله سبحانه وتعالى: عن الحسن بن هارون قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: الغناء مجلس لا ينظر الله إلى أهله، وهو مما قال الله عز جل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١)، وقد رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لرجل دخل في مكان فيه غناء: (ويحك، أما خفت أمر الله أن يأتيك وأنت على تلك الحال، إنه مجلس لا ينظر الله إلى أهله، الغناء أخبث ما خلق الله، الغناء شر ما خلق الله، الغناء يورث النفاق، الغناء يورث الفقر)^(٢).

ثانياً: الخروج عن تقديس الله سبحانه وتعالى: عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: (لا يُقَدِّسُ اللهُ أمة فيها بربط يقعقع، وناية تفجع)^(٣).

ثالثاً: نزول البلاء: قال رسول الله ﷺ: (يظهر في أمتي الخسف والقذف، قالوا: متى ذلك؟ قال: إذا ظهرت المعازف والقينات وشربت الخمر، والله ليبين أناس من أمتي على أشْرٍ وبَطْرٍ ولعب فيصبحون قرده وخنازير لاستحلالهم الحرام، واتخاذهم القينات (أي: المغنيات)، وشربهم الخمر، وأكلهم الربا، ولبسهم الحرير)^(٤).

رابعاً: كُفْران النعمة: عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (من أنعم الله

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٣٠٧.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٣، ص ٢١٢.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٣١٣.

(٤) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣١١.

عليه بنعمة فجاء عند تلك النعمة بمزمار فقد كفرها...^(١).

خامساً: عدم إجابة الدعاء ورفع البركة: قال رسول الله ﷺ: (لا تدخل الملائكة بيتا فيه خمر أو دف أو طنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، ويرفع الله عنهم البركة)^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام: (بيت الغناء لا تؤمن فيه الفجيعة، ولا تجاب فيه الدعوة، ولا يدخله الملك)^(٣).

سادساً: الفقر والنفاق: وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع)^(٤)، وعنه عليه السلام: (الغناء يورث النفاق، ويعقب الفقر)^(٥).

سابعاً: قساوة القلب: عن الإمام الصادق عليه السلام - في وصية النبي ﷺ - لعلي عليه السلام - قال: (يا علي ثلاثة يُقسين القلب: استماع اللهو، وطلب الصيد، وإتيان باب السلطان)^(٦).

ثامناً: عبادة الشيطان: عن الإمام الباقر عليه السلام: (من أصغى إلى ناطق فقد عبده، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عز وجل فقد عبد الله، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان)^(٧)، ومن المعلوم أن استماع الغناء يكون عادة من الصنف الثاني، أي: من كلام الشيطان، فهو إذن عبادة له.

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٣٢٧.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ٥، ص ٢٧٩.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ٣٠٣.

(٤) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣١٦.

(٥) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣٠٩.

(٦) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣١٤.

(٧) المصدر السابق: ج ١٧، ص ٣١٧.

تاسعاً: مفتاح الزنا: قال النبي ﷺ: (الغناء رقية الزنا)^(١)، أي: أن الغناء وسيلة يرتقي بها صاحبها إلى أن يرتكب الزنا - والعياذ بالله -، وعبر عنه بالارتقاء كناية عن صعوبته لولا الوساطة وهي هنا الغناء.

عاشراً: الموت فاجراً فاسقاً: عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: (من أبقى في بيته طنبوراً أو عوداً أو شيئاً من الملاهي من المعزفة والشطرنج وأشباهه أربعين يوماً فقد باء بغضب من الله، فإن مات في أربعين مات فاجراً فاسقاً مأواه النار وبئس المصير)^(٢).

الحادي عشر: يحشر مسودّ الوجه: قال رسول الله ﷺ: (يحشر صاحب الطنبور يوم القيامة وهو أسود الوجه، وييده طنبور من نار، وفوق رأسه سبعون ألف ملك، بيد كل ملك مقمعة يضربون رأسه ووجهه، ويحشر صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم، ويحشر الزاني مثل ذلك، وصاحب المزمار مثل ذلك، وصاحب الدف مثل ذلك)^(٣).

الثاني عشر: يذاب في أذنه الرصاص: قال رسول الله ﷺ: (من استمع إلى اللهو يذاب في أذنه الآنك (وهو الرصاص)^(٤)).

وجوب النهي عن المنكر ومنه الغناء:

عن الإمام الحسن العسكري عن آبائه عليه السلام، عن النبي ﷺ - في حديث - قال: (من رأى منكم منكراً فلينكر بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه،

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٦، ص ٢٤٧.

(٢) المصدر السابق: ج ٧٦، ص ٢٥٣.

(٣) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٣، ص ٢١٩.

(٤) المصدر السابق: ج ١٣، ص ٢٢١.

فإن لم يستطع فبقلمه فحسبه أن يعلم الله من قلبه أنه لذلك كاره^(١)، وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام - في حديث - قال: (أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام: إني معذب من قومك مائة ألف: أربعين ألفاً من شرارهم، وستين ألفاً من خيارهم، فقال عليه السلام: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ فأوحى الله عز وجل إليه: داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي)^(٢)، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلقان من خلق الله، فمن نصرهما نصره الله ومن خذلهما خذله الله)^(٣).

ومن جميع ما ذكر يعلم أن هذا الذنب من كبائر الذنوب والتي توجب غضب الله سبحانه وتعالى ونزول بلائه في الدنيا واستحقاق أليم عذابه في الآخرة، كما أن مفاسده الدنيوية كثيرة، وتترتب عليه أضرار كثيرة. فلا بد من النهي عنها بحسب المستطاع مع مراعاة مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتكون من الممثلين لأحكام الله والطالبيين مرضاته، عصمنا الله وإياكم عن مقارفة الذنوب وممارسة المعاصي، وأهملنا التقوى والعمل بما يجب ويرضى وحشرنا مع محمد وآله الطاهرين عليهم السلام.

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ١٣٤.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ٥٦.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٦، ص ١٤٦.



الإسراف
أسبابه وآثاره وطرق علاجه

معنى الإسراف وأنواعه:

الإسراف بمعنى تجاوز الحد والزيادة عليه، وذلك إما من جهة الكمية كما لو صرف المال في شراء عدد أكثر مما يحتاجه من الملابس مثلاً، بأن كان يحتاج إلى خمسة قطع من الملابس فاشترى عشرة، وكما في صرف المال في موضع غير مناسب شرعاً أو عقلاً حتى لو كان المال بمقدار درهم واحد، أو من جهة الكيفية، كما في صرف المال لشراء شيء بصفة أزيد مما يحتاجه بأن اشترى سيارة مثلاً بمواصفات أزيد مما يحتاجه، أو أن يشتري لباساً بقيمة خمسمائة دينار ويلبسه والحال أن اللباس الذي يناسبه ويليق بحاله يساوي مائة دينار.. فهو إسراف وإن كان صرف المال في موضع مناسب لكن بأكثر مما يستحق، وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا المعنى بقوله: (للمسرف ثلاث علامات: يأكل ما ليس له، ويلبس ما ليس له، ويشترى ما ليس له)^(١)، وقال بعض: إن صرف المال في غير موضعه المناسب يسمى تبذيراً، وصرف المال بأكثر مما يستحق المورد يسمى إسرافاً، ولكن قد يعبر عن كل منها بالآخر أيضاً فيستعمل الإسراف للمعنيين والتبذير كذلك.

الإسراف في القرآن:

يقول تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)، فقد عبّر الله تعالى عمّن يزيد في الأكل والشرب بأنه مسرف.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٧٢، ص ٣٠٤.

(٢) سورة الأعراف: آية ٣١.

ويقول تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ، وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١)، وهنا يصف الله تعالى من لا يؤدي الحقوق الشرعية بأنه مسرف.

ويقول تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾^(٢)، في هذه الآية يبين الله تعالى أن الاعتقادات الباطلة أيضاً يوصف صاحبها بأنه مسرف فيها، وذلك لأن الإسراف إفراط، وصاحب الاعتقاد الباطل قد أفرط في تفكيره حتى ابتعد عن الصراط السوي.

وقال تعالى في نفس السورة: ﴿وَإِنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾^(٣)، وهنا يعطي الله تعالى معنى أعمق للإسراف يجعله صفة لأهل النار.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا، إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(٤)، وهنا يبين تعالى أن المبذر من صنف الشياطين بمعنى أنه في فعله مطيع لهم، ونتيجته الكفران سواء في ذلك كفران النعم وهو الجحود أو إنكار وجود الله تعالى وذلك بسبب التعدي على أحكام الله.

الإسراف في الروايات:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (إن الله إذا أراد بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف)^(٥)، فما يقابل الإسراف هو الاقتصاد وهو من نعم الله تعالى على عباده الذين يريد بهم الخير

(١) سورة الأنعام: آية ١٤١.

(٢) سورة غافر: آية ٣٤.

(٣) سورة غافر: آية ٤٣.

(٤) سورة الإسراء: آية ٢٦-٢٧.

(٥) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ٢٦٦.

لما فيه من حسن العاقبة، بعكس مقابله فإنه يورث سوء العاقبة والعذاب الأليم.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: (إن مع الإسراف قلة البركة)^(١)، والإمام عليه السلام يشير إلى قانون طبيعي في الحياة فالمسرف لا تبقى في أمواله البركة لأنه ينفق ماله بغير حكمة وفي غير احتياج.

وعنه عليه السلام: (أربعة لا يستجاب لهم، أحدهم كان له مال فأفسده فيقول: يا رب ارزقني، فيقول الله عز وجل: ألم أمرك بالاعتقاد)^(٢).

وعنه عليه السلام: (حلّوا أنفسكم بالعفاف، وتجنبوا التبذير والإسراف)^(٣).

وعنه عليه السلام: (سبب الفقر الإسراف)^(٤)، وهذا من أوضح الأمور التي لا تحتاج إلى بيان.

وعنه عليه السلام: (من أشرف الشرف، الكف عن التبذير والسرف)^(٥)، وهذا الكلام على روعته البيانية يراد منه أن يغير أفكار الناس التي تنظر إلى الإنفاق غير المدروس على أنه محل افتخار وأن الاقتصاد بخل، فالإمام يريد أن يصحح المفاهيم ويبين أن الاقتصاد شرف.

أسباب الإسراف:

ولما كان الإسراف من الذنوب الكبيرة التي يستحق عليها العذاب، فلا بد من الإقلاع عنها وهو لا يحصل إلا بعد معرفة الأسباب التي تؤدي إليه حتى يتلافها الإنسان ومن جملة الأسباب التي تؤدي إلى الإسراف:

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٤، ص ٥٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٤، ص ٥٦.

(٣) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٥، ص ٢٦٦.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

١- جهل المسرف بتعاليم الدين: الذي ينهى عن الإسراف بشتى صورته، فعاقبة المسرف في الدنيا الحسرة والندامة: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾^(١)، وفي الآخرة العقاب الأليم والعذاب الشديد: ﴿وَأَصْحَابُ الشَّالِمِ مَا أَصْحَابُ الشَّالِمِ* فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ* وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ* لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ* إِيَّاهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾^(٢)، والترف صورة من صور السرف.

٢- التربية الخاطئة: فقد ينشأ الإنسان في أسرة اعتادت على الإسراف والبذخ، فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي بهم، وهذه من المآسي التي تمارسها الأسر في حق أبنائها.

٣- السعة بعد الضيق: ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق، أو حرمان، أو شدة، أو عسر، فتجدهم صابرين محتسبين، وقد يحدث أن تتبدل الأحوال، فتكون السعة بعد الضيق، أو اليسر بعد العسر، وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال؛ فينقلب على النقيض تماماً، فيكون مسرفاً مبذراً.

٤- صحبة المسرفين: فالإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه، لاسيما إذا طالت هذه الصحبة، وكان هذا الصاحب قوي الشخصية، شديد التأثير، وبذلك ندرك السر في تأكيد الإسلام، وتشديده على ضرورة انتقاء الصاحب أو الخليل، المتخلق بالأخلاق الفاضلة والدين الصحيح.

٥- حب الظهور والتباهي: وقد يكون الإسراف سببه حب الشهرة والتباهي أمام الناس رياء وسمعة والتعالي عليهم، فيظهر لهم أنه سخي

(١) سورة الإسراء: آية ٢٩.

(٢) سورة الواقعة: آية ٤١-٤٥.

وجواد، فينال ثناءهم ومدحهم.

٦- المحاكاة والتقليد: وقد يكون سبب الإسراف محاكاة الغير وتقليدهم حتى لا يوصف بالبخل.

٧- الزوج والولد: فقد يُبتلى الإنسان بزوج أو ولد، دأبهم وديدينهم الإسراف، وقد لا يكون حازماً معهم، فيؤثرون عليه، وبمرور الأيام، وطول المعاشرة، ينقلب مسرفاً مع المسرفين.

٨- التهاون مع النفس: فالنفس البشرية تنقاد وتخضع، ويسلس قيادها بالشدة والحزم، وتتمرد وتتطلع إلى الشهوات، وتلح في الانغماس فيها بالتهاون واللين، وعليه: فإن الإنسان إذا تهاون مع نفسه، ولبي كل مطالبها، أوقعته لا محالة في المهالك ومن ضمنها الإسراف.

آثار الإسراف:

وبعد أن اطلعنا على أسباب الإسراف لا بد أن نطلع على آثاره الفاسدة في هذه الحياة الدنيا وفي الآخرة، ليكون هذا من جملة المقدمات التي ينبغي معرفتها قبل الوصول إلى مرحلة العلاج، وهنا نعرض جملة من آثار الإسراف:

١- علة البدن: فالبدن محكوم بطائفة من السنن والقوانين الإلهية، بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص، تطرقت إليه العلة، وحين تتطرق إليه العلة، فإنها تقعد بالإنسان عن القيام بالواجبات، والمسؤوليات الملقاة على عاتقه، أو المنوطة به.

٢- قسوة القلب: فقسوة القلب لها أسباب مختلفة ومن ضمنها الانغماس في الشهوات والملذات، فإن القلب يرق ويلين بالجوع، أو بقلة الغذاء، ويقسو ويجمد بالشبع، أو بكثرة الغذاء، وحين يقسو القلب، أو يجمد، فإن

صاحبه ينقطع عن البر والطاعات، وحتى لو جاهد الإنسان نفسه، وقام بالبر والطاعات؛ فإنه لا يجد لها لذة ولا حلاوة، بل لا يجني من ورائها سوى النَّصَب والتَّعب.

٣- خمول الفكر: فخمول الفكر مرتبط بعدة عوامل، والبطنة أحدها، فإذا خلت البطن، نشط الفكر، وإذا امتلأت؛ اعتراه الخمول، حتى قالوا قديماً: (إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة).

٤- الانهيار في ساعات المحن والشدائد: فالمسرف قضى حياته في الاسترخاء والترف، فلم يألف المحن والشدائد، ومثل هذا إذا وقع في شدة أو محنة؛ لا يلقي من الله أدنى عون أو تأييد، فيضعف وينهار، لأن الله عز وجل لا يعين ولا يؤيد إلا من جاهد نفسه، وكان صادقاً مخلصاً في هذه المجاهدة، بالإضافة إلى أنه لم يعود نفسه أو يروضها على الخسونة والشدة.

٥- المسألة غداً بين يدي الله: كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١)، فيوم القيامة يُسأل العبد عن كل ما يرد إليه من أموال وكل ما يكسبه في حياته من أعمال، قال الإمام الحسن المجتبي عليه السلام: (... واعلم أن في حلالها حساب وفي حرامها عقاب وفي الشبهات عتاب، فأنزل الدنيا منزلة الميتة وخذ منها ما يكفيك، فإن كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن فيه وزر فأخذت كما أخذت من الميتة، وإن كان العقاب فإن العقاب يسير...)^(٢).

٦- الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام: ذلك أن المسرف قد تضيق به الدنيا، أو تنتهي موارده فيضطر تلبيةً لشهوته وحفاظاً على حياة الترف

(١) سورة التكاثر: آية ٨.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ٤٤، ص ١٣٩.

والنعيم التي ألفها إلى الوقوع في الكسب الحرام، إذ يستنكف من أن يراه الناس بحال أخرى غير حالته فيتوسل إلى ذلك بكل وسيلة.

٧- أخوة الشياطين: كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَدِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾^(١)، وأخوة الشياطين تعني: الصيرورة منهم والانضمام إلى حزبهم، وإن ذلك هو الخسران المبين.

٨- الحرمان من محبة الله: كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(٢)، وماذا يصنع من حرم محبة الله؟! إنه يعيش في قلق واضطراب، وألم نفسي، وإن أحاطت به الدنيا من كل جانب، قال الإمام الحسين عليه السلام: (ماذا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ)^(٣).

الطريق لعلاج الإسراف:

١- التفكير في الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف: فإن ذلك من شأنه أن يحمل على تدارك الأمر، والتخلص من الإسراف، قبل فوات الأوان، وقد تقدمت جملة من هذه الآثار.

٢- الحزم مع النفس: وذلك بفظمها عن شهواتها ومطالبها، وعدم التهاون بذلك أو التسوية في العلاج فإن المبادرة في فعل الخير مندوبة.

٣- دوام النظر في روايات النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وسيرتهم: فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف.

٤- الانقطاع عن صحبة المسرفين: مع الارتقاء في أحضان ذوي الهمم العالية والنفوس الكبيرة الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم، الذين اقتدوا

(١) سورة الإسراء: آية ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: آية ٣١.

(٣) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ص ٣٤٩.

بالنبي وآله (صلوات الله عليهم)؛ فكان عَيْشُهُمْ كِفَافاً، ولا همّ لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصل للآخرة، فإن ذلك من شأنه أن يقضي على مظاهر السرف والدّعة والراحة، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى.

٥- دوام التفكير في الواقع الذي تعيشه البشرية عموماً، والمسلمون على وجه الخصوص: فإن ذلك يساعد في التخلص من كل مظاهر الإسراف، بل ويجول دون التلذذ أو التنعم بشيء من هذه الحياة.

٦- دوام التفكير في الموت، وما بعده من شدائد وأهوال: فإن ذلك أيضاً يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف والترف، ويجول دون الوقوع فيها مرة أخرى، استعداداً لساعة الرحيل ويوم اللقاء.

وأخيراً نختم كلامنا بما كتبه أمير المؤمنين عليه السلام، لزيادة في ذم الإسراف وعلاجه جاء فيه: (فدع الإسراف مقتصداً، واذكر في اليوم غداً، وامسك عن المال بقدر ضرورتك، وقدّم الفضل ليوم حاجتك، أترجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين، وتطمع، وأنت متمرغ في النعيم تمنعه الضعيف والأرملة، أن يوجب لك ثواب المتصدقين؟ وإنما المرء مجزي بما أسلف وقادم على ما قدّم)^(١)، وهنا يبين أمير المؤمنين عليه السلام مجموعة أمور مهمة تساعد على الإقلاع عن الإسراف بشكل عملي أو علمي، فالجانب العملي الذي يمنع الإسراف هو أن يمتنع عن إنفاق المال في غير محله أو زائداً عن حاجته عن طريق الاحتياط في الإنفاق والتحسب لما سيأتي من الأيام إذ قد تمر عليه ظروف تحتاج إلى المال فيما يأتي من عمره فلا بد له من الاحتياط في الإنفاق، هذا درس عملي يمنع من الإسراف وقد يكون المراد بـ (غداً) إشارة إلى دار الآخرة.

وقد أعطى الأمير عليه السلام درساً في علاج هذا المرض من أحسن الدروس، إذ حوّل هذه الصفة الذميمة إلى صفة حسنة بأن حوّل اهتمام الشخص المبذر من التهادي في لذاته وشهواته المالية إلى التفكير في آخرته، فلو لم يستطع عدم الإنفاق فلينفق المال فيما ينفع به يوم القيامة وذلك بأن يتصدق به على المستحقين فيكون هذا الإنفاق مذخوراً له ولا يعد إتلافاً للمال وتضييعاً له في الدنيا.

وكم من حكمة ومعنى عميق في هذا الدرس الأخلاقي الكبير من أمير المؤمنين عليه السلام، كيف لا وهو معلم الإسلام الثاني بعد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. هذه تذكرة منا عملاً بقوله تعالى عز وجل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، أسأل الله أن نكون من الذاكرين والمذكرين وأن تنفعنا هذه التذكرة يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والحمد لله رب العالمين.

(١) سورة الذاريات: آية ٥٥.



**حرمة الربا
في القرآن الكريم
والسنة الشريفة**

المدخل:

الربا من أعظم الكبائر التي تفتك بالأمة، وأكبر الموبقات التي تهدم كيان المجتمع، لما يؤدي إليه من نتائج سيئة، كتفشي رذيلة الكسل، وسدّ باب العمل وتعطيل القوانين، وأكل أموال الناس بالباطل، والقضاء على سُبُل الخير، وما يسببه من ويلات وكوارث اقتصادية، وإثارة للأحقاد والأضغان بين أفراد الأمة، الأمر الذي يؤدي إلى تمزّق الصف، وتفرّق الكلمة، وسحق المعنوية، فهو إذن قوة هدامة للمجتمع.

يؤدي الربا -كنتيجة حتمية- إلى تجمع الثروة في أيدي فئة خاصة من المجتمع، وحرمان الملايين منها، ووقوعهم في استعباد تلك الفئة المالكة، فهو إذن لا يلتقي بحال مع النظام الإسلامي القائم على حفظ حقوق المجتمع، وتنظيم علاقاته ومعاملاته، وصيانة كرامته، وتوفير العيش الكريم إليه، والذي يهدف إلى إيجاد توازن مالي بين أفراد المجتمع، وتعميم الرخاء والرفاهة.

والربا يؤدي إلى تضخم فئة على حساب بقية الفئات فهو يبني سعادة فريق من المجتمع على شقاء الآخرين، وبهذا يشيع بين الأمة الحقد والحسد والتنافر، فتتفكك روابطها، وتضعف معنوياتها، وتكون لقمة سائغة لعدوها، من أجل ذلك بين الإسلام عظم وزر الربا، وضاعف عقابه، وتوعّد عليه، ولم يأت بتفضيع أمر أراد إلغائه كالربا، كما تتكفل بذلك النصوص القرآنية والروايات الشريفة التي سيتم التعرض لها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

معنى الربا:

الربا لغة: الزيادة مطلقاً سواء كانت للشيء في نفسه أم بالنسبة إلى سواه، يقال: (رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو رُبُوًّا وَرِبَاءً: زَادَ وَنَمَا، وَأَرْبَيْتَهُ: نَمَيْتَهُ)^(١)، ويقال: ربا الشيء في الماء، إذا زاد وانتفخ، ومنه: الرباوة والربوة، وهي ما علا من الأرض وارتفع، وقد وردت لفظة الربا بهذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ﴾^(٢)، أي: رطب ثراها وبل، وكثر نبتها واتصل، وقال جل شأنه: ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾^(٣)، أي: أكثر عدداً.

الربا في الإسلام: وهو زيادة مخصوصة في المال تكون على قسمين: القسم الأول: ما يكون في المعاملة: وهو كبيع أحد المثلين بالآخر مع زيادة عينية في أحدهما كبيع مائة كيلو من الحنطة بمائة وعشرين كيلو منها، أو خمسين كيلو من الحنطة بخمسين كيلو حنطة ودينار، أو زيادة حكمية كبيع عشرين كيلو من الحنطة نقداً بعشرين كيلو من الحنطة نسيئة، وهو حرام.

ويشترط في تحقق الربا المحرم في المعاملة النقدية أمران:

الأول: اتحاد الجنس والذات عرفاً وإن اختلفت الصفات، فلا يجوز بيع مائة كيلو من الحنطة الجيدة بمائة وخمسين كيلو من الرديئة، أما إذا اختلف الجنس والذات فلا بأس كبيع مائة وخمسين كيلو من الحنطة بمائة كيلو من الأرز.

الثاني: أن يكون كل من العوضين من المكيل أو الموزون، فإن كانا مما يباع

(١) لسان العرب لإبن منظور: ج ١٤، ص ٣٠٤.

(٢) سورة الحج: آية ٥.

(٣) سورة النحل: آية ٩٢.

بالعد مثلاً كالبيض والجوز في بعض البلاد فلا بأس بالزيادة ولا تعد من الربا، والأوراق النقدية بما أنها من المعدود فلا يجري فيها الربا، فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلاً مع اختلافها جنساً نقداً أو نسيئة، مثلاً: بيع خمسة دنانير كويتية بعشرة دنانير عراقية مطلقاً، وأما مع الاتحاد في الجنس فيجوز التفاضل في البيع بها نقداً، وأما نسيئة فلا يجوز على الأحوط وجوباً.

القسم الثاني: ما يكون في القرض: وهو ما يسمى بالربا القرضي، فلا يجوز اشتراط الزيادة على المقرض بما يكون لمنفعة المقرض، حسب القاعدة الفقهية التي تقول: (كل قرض جرّ منفعة فهو ربا)، وحرمة تعم المعطي والآخذ.

ويعتبر في تحقق الربا القرضي اشتراط الزيادة، بأن يقرضه مالاً على أن يؤديه بأزيد مما اقترضه، سواء اشترطه صريحاً أو أضمره بحيث وقع القرض مبنياً عليه، ولا فرق في حرمة اشتراط الزيادة بين أن تكون الزيادة عينية، كما إذا أقرضه عشرة آلاف على أن يؤدي اثني عشر ألفاً، أو عملاً، كما إذا أقرضه خمسة آلاف على أن يخيّط له ثوباً، أو على أن يصنع بيته، أو منفعة أو انتفاعاً، كما لو قال له أقرضك بشرط الانتفاع بالعين المرهونة.

وكذلك لا فرق في حرمة اشتراط الزيادة سواء كانت راجعة إلى المقرض أو غيره، فلو قال: أقرضتك ديناراً بشرط أن تهب زيدا، أو تصرف في المسجد أو المآثم درهماً لم يجز، وكذا إذا اشترط عليه أن يعمر المسجد أو يقيم المآثم أو نحو ذلك مما لوحظ فيه المال فإنه حرام.

ويجوز اشتراط ما لم يلحظ فيه المال، أو ما هو واجب على المقرض، كما لو قال له: أقرضتك بشرط أن تدعولي، أو تدعو لزيد، أو تصلي أو تصوم لنفسك، أو بشرط أن تؤدي زكاتك أو دينك، مما كان مالاً لازماً الأداء.

وإنما تحرم الزيادة مع الشرط، وأما بدونه فلا بأس به، بل يستحب ذلك للمقترض، حيث إنه من حسن قضاء الدين وخير الناس أحسنهم قضاء.

الربا في القرآن الكريم:

وردت لفظة الربا في آيات كثيرة أهمها:

١ - قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُؤَا عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾^(١)، فقد زهد الله تعالى الناس في الربا، وبيّن أنه عمل مقتصر أثره في الزيادة الظاهرية على الحياة الدنيا، من دون أن يستمر ذلك النمو والربح إلى دار الآخرة، بل هو منقطع مقصور على الدنيا، وأعطى البديل النافع وهو الزكاة، فالزكاة نمو للمال في عالم الدنيا، والثواب في عالم الآخرة.

وهذه الآية من الآيات التي لم تتعرض لعقاب الربا، بل هي متصدية ابتداء وفي الدرجة الأولى لبيان المضار المادية له، من الانقطاع وعدم الاستمرار فقط، وهي نظير ما ورد في حرمة الخمر من التدرج في بيان الحكم من نفي المنافع منه، ثم بيان أنه رجس، ثم الأمر بعدم الاقتراب منه عند الصلاة، ثم الأمر باجتنابه مطلقاً.

٢ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ * وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ^(٢)، وفي هذه الآية الشريفة قرن الله تعالى بين النهي عن أكل الربا وبين التقوى ومخافة الله، ثم مخافة النار التي أعدت للكافرين، وفيها إيجاء بأسلوب بلاغي رائع بأن الربا ينافي التقوى ويورث عقوبة النار وصدق الكفر على المرابي، وهذه الآية

(١) سورة الروم: آية ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: آية ١٣٠ - ١٣١.

بدأت بالتلويح بالعقوبة الأخروية كما هو واضح، لتمهد للتحريم المستفاد من الآيات الآتية.

٣ - وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا* وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(١)، وهنا يذم الله تعالى اليهود بعرض جملة من تصرفاتهم المخالفة لما أمرهم به الله تعالى، ومنها: أكل الربا، فهم بهذا العمل مخالفون لأحكام الله النازلة عليهم، ومستحقون للعذاب الأليم، وقد وصفهم الله تعالى بالكفر بسبب ذلك، وهذا الكلام يجري على المثل العربي: (إياك أعني واسمعي يا جارة)، إذ أن الله تعالى يريد بذلك التمهيد إلى تحريم الربا وبيان عقوبته، في هذه الأمة.

٤ - وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢)، وهنا وصل البيان الإلهي إلى مستوى الصراحة والتعبير عن الحكم الشرعي، وهو تحريم الربا بأقوى الألسنة، حيث قرن بين التقوى وترك الربا، ثم التهديد بالحرب لمن لم ينته عنه، وفتح باب التوبة لمن انتهى.

٥ - وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ، فَانْتَهَى، فَلَهُ مَا سَلَفَ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا،

(١) سورة النساء: آية ١٦٠ - ١٦١.

(٢) سورة البقرة: آية ٢٧٨ - ٢٧٩.

وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿١﴾، فهذه الآيات التي تتحدث عن الربا نزلت في وقت كان فيه تعاطي الربا قد راج بشدة في مكة والمدينة والجزيرة العربية حتى غدا عاملاً مهماً من عوامل تكوّن الطبقة في الحياة الاجتماعية، وسبباً من أهم أسباب تكريس الضعف لدى الطبقة الكادحة وطغيان الأرستقراطية، لذلك فإن الحرب التي أعلنها القرآن على الربا تعتبر من أهم الحروب الاجتماعية التي خاضها الإسلام، وقد اتسمت - كما مر - بالتدرج في بيان الحكم الشرعي مما يشير إلى مدى انتشاره في المجتمع وتعلقه بالنفوس وصعوبة اقتلاع جذوره منها، لذلك نجد القرآن الكريم يشبه المرابي بالمصروع أو المجنون الذي لا يستطيع الاحتفاظ بتوازنه عند السير، فيتخبط في خطواته، ولعل المقصود هو وصف (المسيرة الاجتماعية للمرابين) في الدنيا على اعتبار أنهم أشبه بالمجانين في أعمالهم، فهم يفتقرون إلى التفكير الاجتماعي السليم، بل إنهم لا يشخصون حتى منافعهم الخاصة. وهذا التشبيه - ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ - غاية في البلاغة وفيه من الإيحاءات التي تأخذ بالنفوس، مع ما فيه من إضافة عنصر الإطاعة للشيطان والتلاعب به، هذا من جانب.

ومن جانب آخر فإن حقيقة الإنسان في العالم الآخر تجسّد لأعماله في هذا العالم، فيحتمل أن تكون الآية إشارة إلى المعنين، أي أن الذين يقومون في الدنيا قياماً غير متعقل وغير متوازن يخالطه اكتناز جنوني للثروة سيحشرون يوم القيامة كالمجانين، ويؤيد ذلك ورود الروايات عن المعصومين عليهم السلام للتعبير عن كلا المعنين، ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه

الآية أنه قال: (أكل الربا لا يخرج من الدنيا حتى يتخبطه الشيطان)^(١)، وعن رسول الله ﷺ أنه قال: (لما أسري بي إلى السماء رأيت قوماً يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر أن يقوم من عظم بطنه، فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس)^(٢)، فالحديث الأول يبين اضطراب الإنسان في هذه الدنيا، ويعكس الحديث الثاني حال المرابين في مشهد يوم القيامة، وكلاهما يرتبطان بحقيقة واحدة، فكما أن الإنسان المبطان الأكلول يسمن بإفراط وبغير حساب، كذلك المرابون الذين يسمنون بالمال الحرام لهم حياة اقتصادية مريضة تكون وبالاً عليهم.

الربا في الروايات:

لما كان النبي ﷺ هو المأمور بتبليغ الدين وتأسيس الشريعة على الموازين التي أنزلها الله تعالى، وكذلك كان أهل البيت عليهم السلام هم الحماية لهذه الشريعة والمبينون لمعالمها، لذا نرى أن أحاديثهم عليهم السلام هي التي ترسم معالم الدين وتبين تفاصيله الدقيقة، ليكون الناس على بينة من دينهم، وليهلك من هلك عن بينة ويحيى عن حيى عن بينة، فلذلك لا بد من استعراض رواياتهم الشريفة لنفهم منها خصوصيات كثيرة عن الربا وخطره وعقوبته، ومكانة المرابي ومنزلته في الإسلام، فلنستعرض جملة من هذه الروايات، فنكون على بصيرة من حال المرابي وخطر الربا على المجتمع.

عن النبي ﷺ - في حديث - قال: (ومن أكل الربا ملاء الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل، وإن اكتسب منه مالاً لم يقبل الله منه شيئاً من عمله،

(١) تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي: ج ١، ص ١٥٢.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٠٠، ص ١١٦.

ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده قيراط^(١)، وعنه عليه السلام : (لا يقبل الله صلاة خمسة نفر: الأبق من سيده، وامرأة لا يرضى عنها زوجها، ومدمن الخمر، والعاق، وآكل الربا)^(٢)، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في وصيته له: (يا علي الربا سبعون جزءاً فأيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه في بيت الله الحرام، يا علي درهم ربا أعظم من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام)^(٣)، وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام يقول: (وجدت في كتاب علي بن أبي طالب عليه السلام: إذا ظهر الربا من بعدي ظهر موت الفجأة، وإذا طففت المكايل أخذهم الله بالسنين والنقص، وإذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركاتهما من الزرع والشار والمعادن كلها، وإذا جاروا في الحكم تعاونوا على الإثم والعدوان، وإذا نقضوا العهد سلط الله عليهم شرارهم، ثم يدعو خيارهم فلا يستجاب لهم)^(٤)، وعن أبي عبد الله عليه السلام: (إذا أراد الله بقوم هلاكاً ظهر فيهم الربا)^(٥).

لا تختص الحرمة بأكل الربا:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أكل الربا ومؤكله وكتابه وشاهداه في الوزر سواء)^(٦)، وقال علي عليه السلام: (لعن رسول الله صلى الله عليه وآله الربا وآكله ومؤكله وبايعه ومشتريه وكتابه وشاهديه)^(٧)، وهو بذلك يشابه شرب الخمر في أنه حُرِّم

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٨، ص ١٢٠.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٣، ص ٣٣١.

(٣) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٥٨٣.

(٤) أمالي الشيخ الطوسي: ص ٢١٠.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٨، ص ١٢٠.

(٦) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٣، ص ٢٧٤.

(٧) المصدر السابق.

على عشرة أشخاص، وهذه العقوبة لا تكون إلا في المحرمات المغلظة في الشريعة، وذلك لضمان استقصاء هذا الحرام من المجتمع، وهو يشير بدوره إلى شدة خطره في المجتمع.

العقوبة الدنيوية لأكل الربا:

عن ابن بكير قال: بلغ أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن رجل أنه كان يأكل الربا ويسميه اللباء (اللباء: أي أول اللبن في التاج)، فقال: (لئن أمكنني الله منه لأضربن عنقه)^(١)، وعنه عن أبيه عليه السلام: (أن علياً عليه السلام، أتى بأكل الربا فاستتابه فتاب ثم خلى سبيله: ثم قال: يستتاب أكل الربا كما يستتاب من الشرك)^(٢).

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٨، ص ١٢٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٢٨، ص ٣٧٢.



**اللهو المحرم
في القرآن والسنة**

المدخل:

اللهو لغة: هُوَ التَّرْوِيحُ عَنِ النَّفْسِ بِمَا لَا تَقْتَضِيهِ الْحِكْمَةُ، وَأَلْهَانِي الشَّيْءُ بِالْأَلْفِ شَغَلَنِي، ويقال: لهوت بالشيء أهو به لهوا وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره.

وقال في شرح المفردات: الإلهاء الصرف إلى اللهو، واللهو الانصراف إلى ما يدعو إليه الهوى، ما لعبت به وشغلك، من هَوَى وطرب ونحوهما، وقيل اللهو وليد الهوى، واللعب وليد الرغبة.

اللهو في القرآن:

قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(١) (المنافقون: ٩)، حذر القرآن الكريم المؤمنين من مغبة الوقوع في هذه المصيدة الخطيرة، ألا وهي حب الدنيا والتكالب على الأموال والانشداد إليها، على الرغم من أن الأموال والأولاد من النعم الإلهية التي يستعان بها على طاعة الله وتحصيل رضوانه إن أحسن استخدامها، لكنها يمكن أن تتحول إلى سدٍّ يحول بين الإنسان وخالقه إذا ما تعلق بها الإنسان بشكل مفرط.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَهُوَ وَإِنْ تُوْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾^(٢).

(١) سورة المنافقون: آية ٩.

(٢) سورة محمد: آية ٣٧.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ هَؤُلَاءِ انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التَّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾^(١).

وقال تقدست أسماؤه: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢)، وصف الله الحياة الدنيا بأنها دار لعب وهو وزينة وتفاجر وتكاثر في الأموال والأولاد وبها يغتر الإنسان وينسى نفسه وينسى آخرته وهو الضياع الكبير، وقد شبه القرآن الكريم الحياة الدنيا بأروع تشبيه حيث إنها مؤقتة وقصيرة الأمد ولذلك فاللذة الدنيوية - التي تكون لمحض الدنيا - زائلة وفانية فهي كالنبات ذي العمر القصير سريعا ما نراه يموت ويكون يابسا (حطاما) بعد أن كان ذا أزهار جميلة وخضرة محببة، وهذا حال الدنيا بكل لذاتها للمتأمل المنصف فهي دعوة من القرآن للتأمل والتفكر في عواقب الأمور بما يزيل الغشاوة عن عقله، وقد يصف القرآن الكريم - تارة - الحياة الدنيا بأنها لهو ولعب، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَهُوَ﴾^(٣)، ويصفها تارة أخرى باللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر، كما في هذه الآية ويصفها ثالثة بأنها (مَتَاعُ الْغُرُورِ) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٤)، ويصفها رابعة بأنها (متاع قليل) كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَا يُعْرَنُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ* مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^(٥)، وخامسة يصفها بأنها عارض

(١) سورة الجمعة: آية ١١.

(٢) سورة الحديد: آية ٢٠.

(٣) سورة الأنعام: آية ٣٢.

(٤) سورة الحديد: آية ٢٠.

(٥) سورة آل عمران: آية ١٩٦-١٩٧.

ظاهري سريع الزوال: ﴿عَرَضَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(١)، ومجموع هذه التعبيرات والآيات القرآنية توضح لنا وجهة نظر الإسلام حول الحياة المادية ونعمها، حيث إنه يعطيها القيمة المحدودة التي تتناسب مع شأنها، ويعتبر الميل إليها والانشداد لها ناشئاً من توجه غير هادف كالتجمل (زينة) وحب المقام والرئاسة والأفضلية على الآخرين (تفاخر) والحرص وطلب المال والأولاد بكثرة (التكاثر) ويعتبر التعلق بها مصدراً للذنوب والآثام العظام، أما إذا تحولت النظرة إلى هذه النعم الإلهية، وأصبحت سُلماً للوصول إلى الأهداف الإلهية، عند ذلك، فإنها تصبح رأسمال يشترها الله من المؤمنين ويعطيهم عوضها جنة خالدة وسعادة أبدية.

وقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَهَوّاً وَعَرَّتَهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثَ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوّاً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٣)، فأى شراء أكثر ضرراً على الإنسان من شراء هو الحديث والذي توعد الله عليه الذين يشترونه عذاباً أليماً، وتعبير القران في غاية الدقة والروعة، إذ عبّر:

أولاً: بأن من يطلب اللهُو لا يأخذه بالمجان بل يدفع مقابله شيئاً ما، وما الذي يدفعه يا ترى في مقابل ذلك؟ إنه يدفع أغلى شيء عنده وهو عمره! وبالتالي آخرته فيهُو.

وثانياً: إن من يمشي في طرق اللهُو يعاند - شيئاً فشيئاً - الحق ويُضِل.

(١) سورة النساء: آية ٩٤.

(٢) سورة الأنعام: آية ٧٠.

(٣) سورة لقمان: آية ٦-٧.

الناس عن سبيله فيكون من أئمة الضلال.

وثالثاً: - وهو نتيجة حتمية لما تقدم - الاستهزاء بآيات الله وإنكارها.

ورابعاً: - وهو نهاية المطاف - أن لا يؤثر فيه قول الله ولا نصحه ولا

هدايته وبذلك يُحتم على قلبه فهو من أهل النار.

من مصاديق اللهو المحرم:

١- المزاح المحرم: هناك قسم من الناس، ممن يغلب عليه جانب الهزل

والمزاح، وحالة الاسترخاء المذموم، يسترسل في ذلك حتى يوفقه في المخالفة

الشرعية والسير نحو الإفراط في الدعابة والمزاح، فنحن مأمورون بأن نأخذ

طريقاً وسطاً في هذا المجال، فعلى المؤمن أن يحذر من مجالس الغفلة والابتعاد

عنها، فإن الجلوس في أمثالها لا يناسب صفات المؤمن وهي توجب الابتعاد

عن الله تعالى، ففي دعاء أبي حمزة الثمالي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: (أو

لعلك رأيتني في الغافلين فمن رحمتك آيستني، أو لعلك رأيتني آلف مجالس

البطالين فبيني وبينهم خليتني)^(١)، وعلى هذا يمكن أن نحمل الروايات

الناهية عن المزاح مثل: (يا علي!.. لا تمزح فيذهب بهاؤك) ومن الطبيعي أن

يزول بهاء الإنسان ووقاره وقوة شخصيته إذا ما بالغ وأفرط في مزاحه مع

أقرانه، فمن اتخذ المزاح صفة ملازمة له، فيما يناسب وفيما لا يناسب، فإنه

سيخطأ ومن يخطأ سيقع في الحرام غالباً، فالذي يكثر من الدعابة والمزاح من

الممكن أن يكذب، ليضحك الآخرين كما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال

لأبي ذر: (يا أبا ذر ويل للذي يُحدِّث فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له

ويل له)^(٢)، ومن الممكن أن يكون مزاحه في غير محله، أو أنه قد يمزح ولكن

(١) إقبال الأعمال للسيد ابن طاووس: ج ١، ص ١٦٤.

(٢) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ٢٥٠.

على حساب وهن الآخرين، أو إدخال الهم والغم وما شابه ذلك على غيره.. فعلى المؤمن أن يكون ملتفتا جدا إلى هذه النقطة، وهي عدم الخروج عن الحد الشرعي... وفي الواقع إن المؤمن في كل حركاته وسكناته، منظور من المولى تبارك وتعالى، فلا يحاول أن يقوم بحركة مهما خفت هذه الحركة، مما يمكن أن يُعاقب أو يُعتاب.. وعتاب الله للمؤمن ثقيل على نفسه يوم القيامة، وإن لم يستلزم ذلك العتاب عقابا منه تبارك وتعالى.

٢- القمار: من طرق الشيطان واللغو المحرم القمار وهو من المقامرة وهي المراهنة في اللعب، فالقمار أكل للمال بالباطل، وضياع للمال والعمر ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: (لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وشبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين كسبه وفيما أنفقه، وعن حبنا أهل البيت)^(١). وقد حرمه الله تعالى بنص الكتاب العزيز والروايات الشريفة، ولا فرق بين أنواعه من النرد والشطرنج وغيرهما، لما فيه من المضار والأخطار على الإنسان والمجتمع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾^(٢)، وقال الإمام الباقر عليه السلام: (لما أنزل الله عز وجل على رسول الله ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ قيل: يا رسول الله ما الميسر؟ فقال: كل ما تقوم به حتى الكعب والجوز)^(٣).

وعنه عليه السلام: (إن الشطرنج والنرد وأربعة عشر وكل ما قومر عليه منها

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ص ٩٣.

(٢) سورة المائدة: آية ٩٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٥، ص ١٢٣.

فهو ميسر^(١).

وقال رسول الله ﷺ: (من يلعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله)^(٢).
وقال أمير المؤمنين عليه السلام لقوم كانوا يلعبون بالشطرنج: (ما هذه التماثيل
التي أنتم لها عابدون)^(٣).

وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (لا تسلّموا على اليهود ولا
النصارى ولا على المجوس ولا على عبدة الأوثان ولا على موائد شراب الخمر
ولا على صاحب الشطرنج والنرد...) ^(٤)، وقال الإمام الصادق عليه السلام لزيد
الشحام وغيره: (الرجس من الأوثان: الشطرنج)^(٥)، وعنه عليه السلام في خبر
عمر بن يزيد: (إنّ لله عزّ وجلّ في كلّ ليلة من شهر رمضان عتقاء من النار
إلاّ من أظفر على مسكر، أو مشاحن، أو صاحب شاهين، قال: وأي شيء
صاحب الشاهين؟ قال: الشطرنج)^(٦).

٣- اللهو بالتلفاز والموبايل والألعاب الالكترونية: وهي من آفات هذا
العصر إذا أُسيء استخدامها وكانت بابا للهو وتقليد الآخرين في أخلاقياتهم
وعقائدهم الفاسدة، فكل منها أشد خطرا وأسرع انتشارا من الوباء
والأمراض الفتاكة التي تصيب جسد الأسرة المسلمة وتهدد نسيج المجتمع،
لأنها نافذة كبيرة على الفساد وانتقال أخلاقيات وعادات غير مألوفة على
مجتمعنا، إذ الأخلاق تنتقل بالعدوى كما الأمراض، ولكم رأينا من الأسر

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٧، ص ١٦٧.

(٢) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج ١٣، ص ٢٢٥.

(٣) عوالي اللآلئ لابن أبي جمهور الأحسائي: ج ١، ص ٢٤٣.

(٤) الخصال للشيخ الصدوق: ص ٤٨٤.

(٥) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٢، ص ٢٣٧.

(٦) المصدر السابق.

المسلمة التي أباد أمنها واستقرارها التلفاز وساهم الموبايل في خرابها وتشتهتها، وضيّعت الألعاب الالكترونية أبنائها، وما انتشار الطلاق إلا أحد مسبباتها فالمرأة التي تمضي الكثير من وقتها أمام شاشة التلفاز أو اللهُو بالموبايل قد تصاب بأمراض أخلاقية مختلفة وتؤدي لضياح نفسها وحقوق أسرتها وزوجها، وكذلك باقي أفراد الأسرة فيما إذا ساروا بنفس الطريق.

٤- الانترنت: وللأسف دخل الانترنت عالم الوسائل التي يتوصل من خلالها البعض إلى غاياتهم الشيطانية والتي أخذت دائرتها تكبر لحظة بلحظة كما وكيفا مما أفزع المهتمين بالشأن الأخلاقي والاجتماعي والأسري على حد سواء، ودعاهم إلى التحرك الجاد من أجل إيقاظ الناس وتحذيرهم من الاستخدام السيء لهذه الوسيلة العصرية الهامة، فصار أداة فعالة بيد أتباع الشيطان حيث انتشرت الأفلام والمقاطع غير الأخلاقية الفاسدة والمحرمة، ومقاطع الجريمة والعنف والسرقة والغناء حتى غدت غذاءً يومياً للشباب ولكثير من الأسر، فانتشرت ثقافة القتل والسرقة والفساد والمكر والخديعة وتسقيط الناس وإشاعة الفجور والخيانة وهتك الأعراض مما يندى له جبين الإنسانية أجمع، فانهارت أسر وتفككت أخرى وأريقتم دماء وهجر ناس أوطانهم وحرّموا من أهليهم وذويهم وأزواجهم بسبب إشاعة خطأ أو تليفيق تهمة أو تركيب صورة على أخرى، إلى غير ذلك من أساليب الشياطين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١)، ثم ما حصل في السنوات الأخيرة من تزايد مواقع التواصل الاجتماعي الذي فتح المجال كبيراً للاختلاط بين الجنسين عبر قنوات الدردشة الصوتية أو المرئية

وما تؤدي إليه من نشر الفساد والانحلال الخلقي وإهدار الوقت والسهر للصباح على الكلام اللهوي الماجن الذي ينبغي وضع حد له بشكل حازم، فقد وصل استخدام هذه الوسيلة إلى حد الإدمان، حتى وصل الأمر لأن يشغل الإنسان عن دينه وواجباته وساهم في ضياع عمره وحقوقه، وهناك قلق يساور الآباء والأمهات والمربين من سوء استخدام الانترنت من جانبين: الجانب الأول: يرتبط بالإدمان، حيث إن الانترنت بكافة تشعباتها يستهوي المراهقين والشباب وربما الأطفال بدافع الفضول بداية والتواصل مع من يعرفون ومن لا يعرفون، ثم يتحول هذا التعلق البسيط إلى إدمان يؤدي إلى هدر الوقت وتضييع العمر فيما لا نفع فيه إذا لم يكن مضرًا من الناحية التربوية، وهذا الخطر يشترك معه فيه التلفزيون وكل الوسائل الإعلامية الحديثة.

الجانب الثاني: يتعلق بما يحتويه ويوفره الانترنت، ونحن هنا يساورنا قلق شديد للواقع المأساوي الذي ربما لا يعلم به الكثيرون ممن يسهلون لأبنائهم التعامل مع هذه الوسيلة في المنزل أو في المقهى دون رقابة، بعض الإحصاءات تقول بأن عدد المواقع الإباحية تتجاوز العشرة آلاف موقع، ففي كل يوم تفتتح عشرات المواقع الجديدة، وتقوم هذه المواقع بنشر ثقافة الشذوذ والانحلال والإباحية بما لا نظير له في السابق، وهذا التزايد السريع بعدد المواقع يعود لأسباب منها تجارية ربحية، وأخرى تأخذ في بعضها بعداً اقتصادياً وسياسياً، ومن أهمها القضاء على قوة هذه الدول وضرب منابع الحيوية والقدرة عندها، أعني الشباب، لأن مجتمعاً بلا شباب يعني مجتمع بلا أفق بلا إمكانات بلا مستقبل، ولذا تلجأ الدول الطامعة الكبرى في ثروات الدول الصغيرة إلى كل وسيلة من شأنها إضعاف هذه الدول بالحرب

فيما بينها تارة أو تقسيمها تارة أخرى وإغراق مجتمعاتها في اللهو والعبثية واللامبالاة وإدمان المخدرات والتحلل والبحث عن اللذة، والتي يقع ضحيتها شبابنا ومجتمعنا اليوم فنحن ضحايا لمشروع كبير يمول بمليارات الدولارات أفلا بد من دق ناقوس الخطر كي نتحمل جميعاً المسؤولية ونضع الخطط والبرامج التي تنفذ أبناءنا وتحميهم من مخاطر ما يخطط لهم أو على الأقل حمايتهم من هذه الأخطار والإضرار وتحصين مجتمعاتنا مما يراد بها، وفي الآونة الأخيرة تعدى الأمر إلى غزو فكري آخر، وهو المواقع الإرهابية التي تعلم الأطفال الإرهاب والقتل وتجربهم - بغواية شيطانية - إلى ممارسة أنواع منه بدافع عقدي أو نفعي مختلف، والهدف الأساسي هو تدمير الشباب وتغيير مسارهم إلى ما لا نفع فيه، هذا بالإضافة إلى المواقع الفكرية المنحرفة التي تغير أفكار الناس وتمارس إرهاباً فكرياً يستهدف بالخصوص أتباع المذهب الحق ويشوه أفكار أبنائه.

وأخيراً نسأل الله أن ينجينا وأبناءنا وكل بيوت المسلمين من مخاطر الغزو الثقافي ومن ويلاته والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.



حرمة قذف المحصنات

المدخل:

الكثير من الذنوب الكبيرة والموبقات قد تكون منتشرة انتشاراً واسعاً في مجتمعاتنا الإسلامية بحيث أصبح التعايش معها بصورة اعتيادية ويومية، وربما لا يلاحظ المجتمع مدى خطورة هذه الموبقات من الذنوب سواء في هذه الحياة الدنيا أم في الحياة الآخروية، بل لا يدرك المجتمع - مع الأسف الشديد - فظاعة هذه الذنوب وأثر انتشارها وما يترتب عليها من الفساد والإفساد، خصوصاً ما لها من آثار وضعية واجتماعية ونتائج وخيمة من التفكك ونشر الرذيلة والابتعاد عن روح الشريعة.

ومن الذنوب التي أولتها الشريعة اهتماماً بالغاً وزجرت عنها: قذف المحصنات، فهو من جملة الذنوب التي تعتبر قبيحة جداً (والذنوب كلها قبيحة)، لما لها من المساس بالأواصر الاجتماعية والعلاقات الأسرية، وما تؤديه من تسقيط الفرد بأبشع صورة، وتلويث سمعته بأقذر الأوصاف، وإنَّ وجود مثل هذه الذنوب في مجتمعاتنا الإسلامية ينذر بأمر خطير، وهو انتشار جملة من الأمراض من قبيل حب شياع الفاحشة في المؤمنين، وخلق حالة من الفوضى وعدم الاطمئنان والظعن بأعراض الناس (وعرض المرء أعز ما لديه).

لذا سنتعرض في هذه الأسطر إلى معنى المحصنات ومعنى القذف، وما هي الآيات والروايات التي تعرضت لقذف المحصنات، ثم ما هي العقوبة

التي يستحقها مرتكب هذا الذنب، وفي الخاتمة نحاول بيان علاج مثل هذه الأمراض الاجتماعية، فنقول:

معنى **المحصنات**: المحصنات: جمع محصنة وهي المرأة المتزوجة، والمُحصنة، والحصنة كذلك: هي المرأة العفيفة البعيدة عن الريبة والشك، وأصل الإحصان المنع، والحصن هو بناء يمنع العدو من الوصول إلى ساكن الحصن.

معنى **قذف المحصنات**: القذف هو: الرمي والسب، ومعناه هنا: رمي المرأة بالزنا أو ما كان في معناه، أي يقذفونها بالزنا، وأصل الرمي القذف بالحجارة، واستُعير هذا المعنى شكل مجازي حينما يقذف إنسان امرأة بلسانه ويتهمها بالزنا.

الآيات الواردة في قذف المحصنات:

إن من ثوابت الدين الإسلامي - طبقاً لنصوص القرآن الكريم وأحاديث المعصومين عليهم السلام - أن المؤمن له من الحرمة والمكانة ما لا يوازيه شيء عند الله، فهو محترم النفس والمال والعرض، ولذا فانتهاك أي واحدة من هذه الخصوصيات الثلاثة يُعد من أكبر الموبقات، لذا فقد حرم الله تعالى على المسلم التطاول على أخيه المسلم بطعن في عرضه (سواء في هذا الحكم الرجال والنساء)، والقذف من أشنع أنواع التطاول وانتهاك الأعراس، وأبلغها في الإضرار بالمقذوف والإساءة إليه، لذا كان من أشد الذنوب، فكان التحذير منه في القرآن الكريم شديداً، ومقروناً بالعقاب الدنيوي الذي يردع الواقع فيه من الذنب، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾، وقول عز اسمه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢).

يبين الله تعالى في هذه الآية أن مَنْ قَذَفَ امرأةً محصنة حرة عفيفة ورمأها بالزنا أو البغاء أو الفاحشة فإنه ملعون في الدنيا والآخرة متوعد بالعذاب العظيم.

والغافلات: أي الغافلات عن الفواحش، فهن في غفلة عن الإثم وهن البريات الطوايا، المطمئنات النفس، لأنهن لم يفعلن شيئاً يحذرهن، ويخفن منه.

الروايات الواردة في قذف المحصنات:

إن من أعظم المحرمات في الإسلام قذف المحصنات، ومن أكبر الكبائر عند الله: رمي الغافلات المؤمنات بالزنى وارتكاب الفاحشة، ظلماً وزوراً، لما في ذلك من تلويث سمعة الإنسان البريء، وما فيه من تجريء الناس على المعصية وإشاعة الفاحشة في المجتمع المؤمن، قال رسول الله ﷺ: (اجتنبوا السبع الموبقات، قيل: وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) (٣).

فهو ﷺ اعتبر رمي المحصنات الغافلات المؤمنات: من (الموبقات السبع) التي حذر الأمة منها، و(الموبقات) أي المهلكات، فهي مهلكات للفرد، ومهلكات للجماعة، مهلكات في الدنيا، ومهلكات في الآخرة.

(١) سورة النور: آية ٤.

(٢) سورة النور: آية ٢٣.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١١، ص ٢٦١.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: قال رسول الله ﷺ: (الزاني أشد ضرباً من شارب الخمر، وشارب الخمر أشد ضرباً من القاذف، والقاذف أشد ضرباً من التعزير)^(١).

بل أكثر من ذلك نجد أن الإسلام منع من قذف غير المسلم كما في رواية عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أنه نهى عن قذف مَنْ ليس على دين الإسلام، فعن أبي الحسن الحذاء، قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام، فسألني رجل ما فعل غريمك؟ قلت: ذاك ابن الفاعلة، فنظر إليّ أبو عبد الله عليه السلام، نظراً شديداً، قال: فقلت: جعلت فداك، إنه مجوسي أمه أخته، فقال: أو ليس ذلك في دينهم نكاحاً؟!)^(٢).

عقوبة قاذف المحصنات:

من خلال تتبع الروايات الواردة عن أهل بيت الرحمة عليهم السلام يتبين لنا أن لقاذف المحصنات عقوبتين دنيوية وعقوبة أخروية، وهذا يبين لنا ما لهذا الذنب من حرمة عظيمة عند الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: (ومن رمى محصناً أو محصنة أحبط الله عمله، وجلده يوم القيامة سبعون ألف ملك من بين يديه ومن خلفه، وتنهش لحمه حيّات وعقارب، ثم يؤمر به إلى النار)^(٣).

وفي رواية أخرى أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت: (يا رسول الله إني قلت لأمتي: يا زانية، فقال: هل رأيت عليها زناً؟ فقالت: لا، فقال: أما إنها ستفاد منك يوم القيامة، فرجعت إلى أمتها فأعطتها سوطاً، ثم قالت:

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٧، ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق: ج ٧، ص ٢٤٠.

(٣) ثواب الأعمال للشيخ الصدوق: ص ٢٨٥.

اجلديني، فأبت الأمة، فأعتقتها، ثم أتت إلى النبي ﷺ فأخبرته، فقال: عسى أن يكون به^(١).

هذا العقاب الأخرى أما بالنسبة إلى العقاب الديوي فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: (القاذف يُجلد ثمانين جلدة، ولا تُقبل له شهادة أبداً، إلا بعد التوبة أو يُكذَّب نفسه، فإن شهد له ثلاثة وأبى واحد، يُجلد الثلاثة ولا تقبل شهادتهم حتى يقول أربعة: رأينا مثل الميل في المكحلة)^(٢).

ويشمل القذف الرجل زوجته، فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام: (عن رجل قذف امرأته فتلاعنا، ثم قذفها بعد ما تفرقا أيضاً بالزنا، أعليه حد؟ قال: نعم عليه حد)^(٣).

بيان وجه العلة في حد القذف:

وقد بينت بعض الروايات - بالإضافة إلى ذلك - علة جلد مرتكب هذه الخطيئة، فقد روى الشيخ الصدوق عن محمد بن سنان، عن الرضا عليه السلام فيما كتب إليه: (وعلة ضرب القاذف، وشارب الخمر ثمانين جلدة، لأن في القذف نفي الولد، وقطع النسل، وذهاب النسب، وكذلك شارب الخمر، إذا شرب هذى، وإذا هذى افترى، وإذا افترى جلد، فوجب عليه حد المفترى)^(٤)، وعن محمد بن سنان، عن الرضا عليه السلام، فيما كتب إليه من جواب مسأله: (وحرّم الله قذف المحصنات لما فيه من فساد الأنساب ونفي الولد، وإبطال الموارث، وترك التربية، وذهاب المعارف، وما فيه من الكبائر والعلل التي

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ٢٨، ص ١٧٤.

(٢) المصدر السابق: ج ١٨، ص ٤٣٣.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٧، ص ٢١٢.

(٤) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٥٤٥.

تؤدي إلى فساد الخلق)^(١).

لماذا قيدت الشريعة الشهادة بأربعة شهود:

تقدم أنه من ادعى على شخص ورماه بالفاحشة، ولم يأت بأربعة شهود تعد شهادته قذفا ويقام عليه الحد (ثمانون جلدة ولا تقبل له شهادة إلا بعد التوبة)، ولنا أن نسأل لماذا قيدت الشريعة اشتراط إتمام الدعوى وإثباتها بأربعة شهود؟

وللإجابة على هذا السؤال نقول: أكدت الشريعة على عدم شياع الفاحشة في المجتمع الإسلامي وعدم انتشار المفاسد فيه، تحجيماً لها كي يتم القضاء عليها وعدم الخوض في مثلها، لما لها من التأثير في تفكك المجتمع والقدح في أعراض الناس وتشويه سمعتهم، وكما عبرت الرواية السابقة بـ(فساد الخلق)^(٢)، ثم أن من يشيع القذف والقدح في عرض الإنسان يكون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣)، فنفس شياع الفاحشة في المجتمع الإسلامي تكون أرضية خصبة في انتشار الرذائل والذنوب والموبقات، مما يؤدي إلى اعتياد الناس على الفواحش، والابتعاد عن شريعة الله التي أخرج بها الناس من الظلمات إلى النور ومن رذائل الأخلاق إلى محاسنها.

والتأكيد على الشهود الأربع خصوصاً لمثل هذه الذنوب، كي يتحرز الإنسان من رمي التهم جُزافاً ومن دون تروٍ وتدقيق، فعليه التأنى في ما

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٨، ص١٧٤.

(٢) المصدر السابق: ج٢٨، ص١٧٤.

(٣) سورة النور: آية١٩.

يدّعي وعدم التعجل بالتقول على الآخرين، فكثيرا ما يحدث من عدم وضوح الرؤيا والاستعجال في الحكم سواء في ذلك الأمر الخطير أم الحقير، فكيف إذا كان رميا بالفاحشة؟ وهو من أشد ما يطعن فيه المرء، ومن أصعب ما يفقده في حياته (سمعته) بل من الأمور التي لا رجوع لها، وقد عللت بعض الروايات الشهود الأربع في إثبات وقوع الفاحشة، نذكر منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قيل له: (لم تجعل في الزنا أربعة من الشهود، وفي القتل شاهدان؟) فقال: (إن الله تعالى أحل لكم المتعة وعلم أنها ستنكر عليكم، فجعل الأربعة الشهود احتياطا لكم، لولا ذلك لأتى عليكم، وقل ما يجتمع أربعة على شهادة بأمر واحد)^(١)، وعن محمد بن سنان: إن الرضا عليه السلام كتب إليه فيما كتب من جواب مسأله: (جعلت شهادة أربعة في الزنا واثنان في سائر الحقوق لشدة حصب المحصن، لأن فيه القتل فجعلت الشهادة فيه مضاعفة مغلظة لما فيه من قتل نفسه وذهاب نسب ولده وفساد الميراث)^(٢).

العلاج:

إن التأمل في أي تصرف من تصرفات الإنسان ومراجعته نفسه لما يصدر منه من قول أو فعل، له نتائج إيجابية ويأخذ المتأمل شيئا فشيئا بارتياح الطريق الصحيح والابتعاد عن كل ما هو مهلك أو مؤدي إلى الهلكة، فإن اللسان من أهم الجوارح لدى الإنسان، بل إن جميع الجوارح تثاب وتعاقب به، فدخول جل أهل النار فيها بسببه، قال علي بن الحسين عليه السلام: (إن لسان ابن آدم يشرف على جميع جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم؟ فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه ويقولون: إنما: تثاب

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٥٠٩.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١٩٦.

ونعاقب بك^(١)، ولهذا أكثر جوارح الإنسان عذاباً يوم القيامة هو اللسان، فعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (يعذب الله اللسان بعذاب لم تعذب به شيئاً، فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسفك بها الدم الحرام وانتهب بها المال الحرام وانتهك بها الفرج الحرام، وعزتي وجلالي لأعذبنك بعذاب لا أعذب به شيئاً من جوارحك)^(٢).

إذن على الإنسان أن يتأمل جيداً بما يقول وبما يحكم، وعليه أن يجعل نُصب عينيه الجزاء في الدنيا والآخرة، وليعتقد أن كل حكم أو قول أطلقه على إنسان من دون تروٍّ أو دليل أو بينة ومن دون ضوابط شرعية، فليستعد للبلاء والابتلاء بمثله أو قريباً منه، فمن طرَّق باب الناس طرَّق بابه، وسوف ترجع عليه التهمة بمثلها أو أشد منها، قال رسول الله ﷺ: (مكتوب في التوراة: أنا الله قاتل القاتلين ومفقر الزانين أيها الناس لا تزنوا فتزني نساؤكم كما تدين تدان)^(٣).

لذا فالمفروض على كل مؤمن إذا سمع تهمةً أو قدحاً أو جرحاً في أخيه المؤمن أن يبادر لنصرته ويدافع عنه وينفي الرذيلة عنه، كي نسد الأبواب على المتصيدين والمنافقين والذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولينظر الإنسان إلى ما أولته الشريعة من خلق مجتمع متكافل متآزر يعيش حَسَن الخُلُق والفضيلة والابتعاد عن كل ما يؤدي إلى التمزيق والتشتيت لأواصره.

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ١١٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٥، ص ٥٥٤.

إذن لتأمل بالروايات والآيات وما فيها من العقوبة والجزاء والوعد والوعيد فنحن في سفر ورحيل من دنيا إلى آخرة تتجسد فيها أعمالنا ويكون فيها البنيان الذي كانت لبناته من كدّ جوارحنا.

تنبيه:

وينبغي هنا أن نعرف أن القذف لا ينحصر بتهمة الزنا، وإن كان شرعاً جعل الحد خصوص هذه التهمة بل يتعدى ذلك إلى مطلق اتهام الإنسان وإلصاق بعض الأوصاف القبيحة به مثل الكذب أو غيره من التهم فهو وأن لم يكن فيه حد، ولكنه مع ذلك يستوجب العذاب لأنه يعد من الذنوب الكبيرة، إذ يدخل في هتك المؤمن إن كان الأمر صحيحاً، وفي بهتانه إن كان كاذباً.



حرمة القتل
في الكتاب والسنة الشريفة

المدخل:

إن الله تعالى شرع الدين الإسلامي الخاتم دستوراً للحياة كما هو طريق للجنة، فكما أن السير عليه يؤدي بالإنسان المؤمن إلى الفوز بالرضوان وسعادة الآخرة، فكذلك الأخذ به في هذه الحياة يكون سبباً للسعادة فيها، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾^(١)، ومن جملة أحكام الإسلام العظيم وتشريعاته الرائعة، احترام الإنسان في نفسه وفي ماله وفي عرضه، بل إعطاؤه القيمة العليا في هذه الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾^(٢)، وعن الإمام الصادق عليه السلام قال: (الله عز وجل في بلاده خمس حُرْم: حرمة رسول الله ﷺ، وحرمة آل الرسول، وحرمة كتاب الله عز وجل، وحرمة كعبة الله، وحرمة المؤمن)^(٣).

إلا أن بني البشر - وللأسف - نراهم مع ذلك لم يمتنعوا من ظلم بعضهم البعض بكل أشكال الظلم وأبشعها، فصدّقوا بذلك قول الملائكة عندما أخبرها الله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فتساءلت مستفهمة رها:

(١) سورة طه: آية ١٢٤-١٢٦.

(٢) سورة الإسراء: آية ٧٠.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ٧، ص ١٢٨.

﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾^(١)، وهذا الظلم والقتل لبني الإنسان يزعزع من قيمة الفرد في المجتمع ويضعف مكانته فيه، فترى أبناء المجتمع - بعد أن شاع فيهم الظلم والفساد - لا يرون قيمة للآخرين فيتعاملون بعد ذلك على أساس المصلحة الشخصية فقط متناسين مصالح الآخرين، وهنا الطامة الكبرى، فعندما يصل المجتمع إلى هذه المرحلة من التفكير لا يستقر حجر على حجر، ولا ينفع أي عمل جماعي بعد ذلك، وهو ما نعيشه اليوم في حياتنا، فكل أنواع الظلم والفساد والتقتيل بكل صورها البشعة يجمعها جامع واحد وهو عدم احترام الإنسان وعدم الشعور بقيمته الحقيقية في المجتمع، ومن ثم إعطائه ما يستحقه في هذه الحياة.

لذا - وبهذه المناسبة - ندعو جميع المسلمين، ولا سيما في هذا البلد أفراداً وجماعات، سَوَقة ومسؤولين إلى تطبيق إرادة الله تعالى في هذه الحياة وإعطاء الإنسان حقه وقيمه ومكانته التي رفعه الله إليها، وترك الظلم بكل أشكاله وما يؤدي إليه من القتل وإهلاك الحرث والنسل وإفساد الأرض قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢).

القتل بالباطل (المحرم):

القتل في اللغة: هو نقض البنية التي تصح معها الحياة، قال المبرد: وأصله إماتة الحركة.

واصطلاحاً: هو كل إزهاق لروح الإنسان، وقتل له بغير وجه حق، كما قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ

(١) سورة البقرة: آية ٣٠.

(٢) سورة الروم: آية ٤١.

جميعاً^(١)، وروي عن محمد بن مسلم، قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾، قال له في النار مقعد لو قتل الناس جميعاً لم يرد إلا ذلك المقعد)^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾^(٣).

من أهم أسباب قتل النفس:

١- القتل بسبب المعتقد والدين (السبب الطائفي): الكثير من حالات القتل التي حدثت في مختلف الأزمنة ترجع في حقيقتها إلى أن منشأ القتل هو الدافع الديني أو العقدي (الأيديولوجي)، ولقد عانى أتباع آل بيت الرسول ﷺ تبعاً لأئمتهم من القتل والتهجير والإقصاء حتى اصطبغت الأرض بلون دمائهم الطاهرة، لا لشيء إلا لأنهم أحبوا آل بيت رسول الله (صلوات ربي عليه وعليهم أجمعين) واعتقدوا بولايتهم وأنهم أوصياء رسول الله ﷺ، فبلغت حالات القتل عدداً لا يحصى، وتنوعت صورته وأشكاله وتفنن أعداء أتباع آل البيت عليهم السلام بالوان القتل حتى غدت قصصاً مُحكى، فما جرى على أتباع دين أو طائفة ما جرى عليهم، فمن الصدر الأول للإسلام وحتى اليوم ترى الشيعة مقتلين مشردين مضطهدين مفترى عليهم.

٢- القتل بسبب قومي أو قبلي (السبب العشائري): وهو أيضاً من أسباب القتل الشائعة والتي لا تقل أهمية عن السبب الديني، فإن الناس كما تأخذهم الحمية لدينهم كذلك تأخذهم الحمية لقوميتهم وقبيلتهم، وقد

(١) سورة المائدة: آية ٣٢.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٧، ص ٢٧١.

(٣) سورة الإسراء: آية ٣٣.

جاء الإسلام ليهدب نفوس الناس ويغير أخلاق الجاهلية التي توارثوها فيما بينهم توارث المال والجاه، فمن أخلاقهم قتل البنت: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ* يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾^(١)، وكذلك القتل رفعا للعار قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾^(٢)، وأد يئد مقلوب من آد يئود أودا أي: يثقله: لأنه إثقال بالتراب يعني الجارية المدفونة حيا، وكانت المرأة إذا حان وقت ولادتها حفرت حفرة، وقعدت على رأسها، فإن ولدت بنتا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت غلاما حبسته، ومعنى قوله: ﴿سُئِلَتْ* بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ أن الموءودة تسأل فيقال لها: ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾، ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها، لأنها تقول: قُتِلْتُ بغير ذنب.

وكذلك القتل طلبا للثأر فنظام الثأر يسود في المجتمعات الانقسامية، أي تلك المجتمعات التي يقوم تنظيمها الاجتماعي على ثلاثة أسس هي: رابطة الدم، ورابطة المكان، وعدم وضوح التفاضل الاجتماعي والاقتصادي بين الجماعات المكونة لذلك المجتمع، فهم شديدو الانصياع لقبيلتهم ولمعاييرها الجماعية.

٣- القتل بسبب الحسد: قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ...﴾^(٣)، الحسد القاتل: أي: يحاول الحاسد بنفسه أو بأعوانه إزالة النعمة عن محسوده بقتله والتخلص منه، وقد ينجح في ذلك وقد يفشل،

(١) سورة النحل: آية ٥٨-٥٩.

(٢) سورة التكوين: آية ٨-٩.

(٣) سورة البقرة: آية ١٠٩.

ومن أمثلة الحسد القاتل:

أ- قتل قابيل لهاييل حسداً: قال تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأُ ابْنِي آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

ب- عزم إخوة يوسف قتله حسداً: قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَوْطَرُوهُ أَرْضاً يَحُلُّ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾^(٢).

ج- محاولات اليهود قتل النبي حسداً: قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٣)، فقد حسد اليهود الموجودون في المدينة النبي محمداً ﷺ كما هو ديدنهم في اغلب الأنبياء السابقين قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٤)، فإن حسدهم له دفعهم إلى تكذيبه، والكفر به، والظعن فيه، وإثارة الشبهات عليه، ومحاربتة وتأليب الأحزاب عليه، ومحاولة قتله اغتيالاً عدة مرات، كان آخرها عندما دسوا له السم في الشاة المسمومة في غزوة خيبر، وبنفس السبب قتل أئمة أهل البيت عليهم السلام من قبل أعدائهم، روى الكناني قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: (نحن قوم فرض الله طاعتنا، لنا الأنفال ولنا صفو المال ونحن الراسخون في العلم ونحن المحسودون الذين قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٥)).

(١) سورة المائدة: آية ٢٧.

(٢) سورة يوسف: آية ٨-٩.

(٣) سورة النساء: آية ٥٤.

(٤) سورة البقرة: آية ٨٧.

(٥) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ١٨٦.

٤- القتل بسبب الطمع: كالقتل طمعا في المال أو الجاه أو السلطة أو الزواج بفتاة أو العكس، وكل ذلك من آثار ابتعاد الإنسان عن الله تعالى والإيمان بما قسم، وإن كان على حساب حياة إنسان، قال الإمام الباقر عليه السلام: (بئس العبد عبد له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذلّه)^(١)، وعن سعدان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: (ما الذي يثبت الإيمان في العبد؟ قال: الورع، والذي يخرج منه؟ قال: الطمع)^(٢).

٥- الجهل وضغوط الحياة: ونعني بالجهل أن يجهل الإنسان عظمة خلق الروح فيتعدى على القانون الإلهي ويعمد على إزهاقها، فيقتل غيره أو يقتل نفسه بان يتحرر، والانتحار حرام بأي شكل كان، وهو من الكبائر، لورود النهي عنه في الكتاب العزيز، روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من قتل نفسه متعمدا فهو في نار جهنم خالدا فيها)^(٣).

٦- القتل بسبب تناول المسكرات: من الأسباب التي تقود الإنسان لقتل النفس شرب الخمر فهو مفتاح كل شر ويحجب العقل عن التمييز بين الخير والشر، فيرتكب عظام الأمور وهو لا يشعر بنفسه، فقد روي أن الإمام الباقر عليه السلام قال حينما سُئل: (ما أكبر الكبائر؟.. فقال: شرب الخمر،... إن شرب الخمر يُدخل صاحبه في الزنا، والسرقه، وقتل النفس التي حرّم الله عز وجل، وفي الشرك بالله عز وجل.. وأفاعيل الخمر تعلو على كل ذنب، كما تعلو شجرها على كل شجر)^(٤).

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٣٢٠.

(٢) المصدر السابق.

(٣) من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق: ج ٤، ص ٩٥.

(٤) الكافي للشيخ الكليني: ج ٦، ص ٣٥٨-٤٢٩.

٧- القتل لأسباب سياسية أو اقتصادية: وله صور كثيرة لا يناسب ذكرها مع هذا الإيجاز، منها الاغتيال: وهو مصطلح يستعمل لوصف عملية قتل منظمة ومتعمدة تستهدف شخصية مهمة ذات تأثير فكري أو سياسي أو عسكري أو قيادي، ويكون مرتكز عملية الاغتيال عادة أسباباً عقائدية أو سياسية أو اقتصادية أو انتقامية تستهدف شخصية مهمة يعتقد منظمو الاغتيال أنها عائق لهم في طريق انتشار أو وسع لأفكارهم أو أهدافهم.

القتل في الروايات الشريفة:

لما كان القتل من كبائر الذنوب التي توعد الله مرتكبها النار والخلود فيها، لذلك نهت الروايات الشريفة المسلم عن ارتكاب هذه الكبيرة بالسنة مختلفة في التعبير عن عظم هذا الذنب وشدته، ونذكر هنا بعض هذه الروايات، وهي:

١- علة تحريم قتل النفس: قال الإمام الرضا عليه السلام: (حرم الله قتل النفس لعله فساد الخلق في تحليله لو أحل، وفنائهم وفساد التدبير)^(١).

٢- قتل النفس من كبائر الذنوب: قال الإمام الصادق عليه السلام: (الكبائر سبعة: منها قتل النفس متعمدا...) ^(٢).

٣- يقال للقاتل مت يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً: عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل قتل رجلاً مؤمناً قال: يقال له: (مُت أي ميته شئت إن شئت يهودياً وإن شئت نصرانياً وإن شئت مجوسياً) ^(٣).

٤- قاتل النفس لا يدخل الجنة: قال الإمام الصادق عليه السلام: (لا يدخل

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق: ج ٢، ص ٩٨.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج ٢، ص ٢٧٦.

(٣) المصدر السابق: ج ٧، ص ٢٧٣.

الجنة سافك الدم ولا شارب الخمر ولا مشاء بنميم)^(١).

٥- الكل شركاء في القتل: قال رسول الله ﷺ: (لو أن أهل السماوات السبع وأهل الأرضيين السبع اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله عز وجل جميعا في النار)^(٢)، وعنه ﷺ: (لو أن رجلا قُتِلَ بالمشرك وآخر رضي بالمغرب كان كمن قتله واشترك في دمه)^(٣).

قتل النفس وأثره على الفرد والمجتمع:

١- فقدان الأمان وتزايد مشاعر الخوف من الجريمة لدى جميع أفراد عائلة القتيل، وإحساسهم بعدم الأمان وتقييد حرياتهم الأمر الذي يؤدي إلى انسحابهم من مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

٢- ازدياد مشاعر الحزن لدى جميع أفراد عائلة القتيل والمقتول على حد سواء، مما يؤدي إلى إصابتهم بأمراض نفسية مختلفة كالكآبة والقلق وغيرها.

٣- بعض حالات القتل تحدث أمام الأطفال سواء كان هؤلاء الأطفال أبناء الضحية أو الجاني أو غيرهم، فإنها ستترك أثارا نفسية حادة وعميقة في نفس الطفل تؤدي إلى مرضه نفسيا أو عضويا أو تجعل منه قاتلا في المستقبل.

٤- انهيار جميع العلاقات والروابط الاجتماعية لعائلة القتيل مع المجتمع المحيط بها.

٥- إطلاق السمة والوصمة الإجرامية من المجتمع على أسرة وأبناء القتيل، مما يؤدي إلى ازدياد مشاعر الحقد والكراهية.

٦- والأهم من ذلك كله إشاعة روح العداة ولغة العنف في المجتمع

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج٧، ص ٢٧٣.

(٢) جامع أحاديث الشيعة للسيد البروجوردي: ج٢٦، ص ١٤٢.

(٣) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة للحر العاملي: ج٥، ص ٥٧٥.

وما تجره من ويلات، من قبيل غياب مظاهر الأخلاق الأصيلة في المجتمع الإسلامي كروح التسامح والأخوة وإنصاف الآخر والحمل على محمل حسن، وكذلك انعدام الإحساس بقيمة الفرد في المجتمع وما يجره ذلك من مأس على كل الحياة الاجتماعية.

عقوبة القاتل:

أولاً: العقوبة الأخروية: قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾^(١)، وهي أربع عقوبات أخروية لمرتكب القتل:

١- الخلود في النار.

٢- إحاطة غضب الله وسخطه بالقاتل.

٣- لعنة الله عليه.

٤- العذاب العظيم الذي ينتظره يوم القيامة.

ثانياً: العقوبة الدنيوية (القصاص): قال تبارك وتعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾^(٢)، شرع الله في كتابه الكريم القصاص على مرتكب هذه الجريمة فوصف القصاص بأنه حياة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، فالعقوبة الإلهية على مرتكب هذه الكبيرة بنحو العمد هي القتل.

(١) سورة النساء: آية ٩٢.

(٢) سورة المائدة: آية ٤٥.

(٣) سورة البقرة: آية ١٧٩.



حرمة التعرب بعد الهجرة

المدخل:

يولد المسلم وينشأ ويتعرع في بلده الإسلامي فيتشرب - عن وعي ودون وعي - أحكام الإسلام وقيمه وتعاليمه، حتى إذا شبَّ، شبَّ متأدباً بآداب دينه، سالكاً طريقه، مهتدياً بهديه، ولو قُدِّر لمسلم أن يولد وينشأ ويتعرع في بلاد غير إسلامية لبدا أثر البيئَة واضحاً في أفكاره وآرائه وسلوكه وآدابه وقيمه، إلاّ من عصَم ربُّك، ويبدو أثر البيئَة غير الإسلامية أكثر وضوحاً في سلوك وآداب وقيم الجيل الثاني.. جيل الأبناء، ولذلك كان للإسلام موقف من التعرب بعد الهجرة جسّده الآيات الشريفة، وروايات عدة، فعَدَّتْه من الكبائر، فلا بد لنا أن نعرف معنى الهجرة ومعنى التعرب وما هي المصاديق في الوقت الحالي وما هي فتاوى الفقهاء سواء كانت من القدماء أو المعاصرين.

معنى الهجرة:

المقصود بالهجرة التحوُّل الإيجابي من حياة البداوة والجاهلية والكفر إلى الحياة الملتزمة بتعاليم الشريعة المحمدية وفي حاضرة الإسلام، كما حصل بالنسبة إلى المسلمين الأوائل الذين أسلموا وهاجروا إلى المدينة المنورة، حيث أقام الرسول المصطفى ﷺ دولة الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يُخْرِجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ

غُفُوراً رَحِيماً^(١)، لذا تعتبر حادثة الهجرة فيصلاً بين مرحلتين من مراحل الدعوة الإسلامية، هما المرحلة المكيّة والمرحلة المدنيّة، ولقد كان لهذه الحادثة آثار جليّة على المسلمين، ليس فقط في عصر رسول الله ﷺ ولكن آثاره الخيرة قد امتدت لتشمل حياة المسلمين في كل عصر ومصر.

والهجرة لغة تعني: ترك شيء إلى آخر، أو الانتقال من حال إلى حال، أو من بلد إلى بلد، يقول تعالى: ﴿وَالرَّجَزَ فَاهْجِرْ﴾^(٢)، وقال أيضاً: ﴿واهْجِرْهُمْ هِجْرًا جَمِيلًا﴾^(٣)، وتعني اصطلاحاً: الانتقال من بلاد الشرك إلى بلاد الإسلام، وهذه هي الهجرة المادية، أما الهجرة المعنوية فتعني الانتقال بالنفسية الإسلامية من مرحلة إلى مرحلة أخرى بحيث تعتبر المرحلة الثانية أفضل من الأولى، من ناحية الالتزام الديني والخروج عن حالة الجهل بأحكام الدين.

معنى التعرب بعد الهجرة:

التعرب بعد الهجرة: هو أن يعود الإنسان المسلم إلى وضعه السابق من الجهل، واللامبالاة بأحكام الدين، قبل أن يتعلم ما ينبغي أن يتعلمه، كما أن التَّعْرُبُ هو التَّخَلُّقُ بأخلاق الأعراب من سُكَّانِ البادية، والأعراب جمع (الأعرابي) وهو الجاهل من العَرَبِ والبدوي الذي لم يتفقه في الدين، البعيد عن المَدَنِيَّة والحضارة والعلم والثقافة، فمعنى التَّعْرُبِ هو الإقامة والسُّكْنَى مع الأعراب والتأقلم مع جاهليتهم والتخلق بأخلاقهم.

وأطلقه الشارع المقدس على ظاهرة نكوص بعض المسلمين، وابتعادهم

(١) سورة النساء: آية ١٠٠.

(٢) سورة المزمل: آية ٥.

(٣) سورة المزمل: آية ١٠.

عن المجتمع الإسلامي، وإيثارهم سُكنى البادية مع الأعراب والكفار، على السُكنى مع المسلمين في ظل الدولة الإسلامية، بعد هجرتهم إلى دار الإسلام وممارستهم حياة الالتزام الديني، مما يدل على تركهم الالتزام بتعاليم الإسلام، وتخليهم عن الدفاع عن الإسلام، وتقاعسهم عن نصرته مبادئه القيمة.

وفي صدر الإسلام كانت الهجرة واجبة إلى موطن الرسول ﷺ من أجل تعلم الأمور الدينية اللازمة، وكان يحرم البقاء في بلاد الكفار إذا كان ذلك مانعاً عن إقامة شعائر الله، كما لو لم يتمكن من إقامة الصلاة أو صيام شهر رمضان في بلاد الكفار.

وترك أصل الهجرة، أو العودة بعد الهجرة إلى الحالة الأولى حرام أيضاً ومن الذنوب الكبيرة، وقد جاء الوعيد على ذلك بالنار كما في بعض الآيات التي سوف تأتي.

وفي معرض بيان معنى عبارة (التعرب بعد الهجرة) التي وردت ضمن المعاصي الكبيرة، أجاب بعض العلماء:

المقصود منها السفر إلى البلاد التي تنقص فيها معارف المسلم الدينية، بسبب بُعده عن مراكز المعرفة والثقافة الدينية، ولقد أجاد في بيان المعنى، فالمراد من لفظة (الأعرابي) هو الجاهل بأحكام الإسلام، خصوصاً وأن الروايات الشريفة الآتية الذكر قد فسرت المراد من الأعرابي، وعليه فليس لخصوص السكنى في البادية أو الإقامة مع الأعراب دخل في تحقق عنوان التعرب ما لم يصير الإنسان نفسه أعرابياً.

الآيات الكريمة في التعرب ووجوب الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ حَوْلِكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وفي سورة الفتح: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣)، وقال عز وجل: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤)، ويستفاد من الآيات المتقدمة في ذم الأعراب، أن التعرب ليس بذاته مذموماً بل مذمومة من جهة فقدان الإيثار والجهل بأحكام الله والابتعاد عن مصدر التشريع والعيش في وسط لا يتمكن فيه من ممارسة ما فرضه الله على عباده، لذا نجد الآية التالية تمدح بعض الأعراب الذين وفقوا للإيمان والعمل بالأحكام الدينية، وهم مورد المدح والوعد بالرحمة: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٥).

(١) سورة التوبة: آية ٩٧.

(٢) سورة التوبة: آية ١٠٠.

(٣) سورة الفتح: آية ١١.

(٤) سورة الفتح: آية ١٤.

(٥) سورة التوبة: آية ٩٩.

بناءً على ذلك فكل مسلم يمتنع عن تحصيل المعارف الدينية، وتعلم المسائل الشرعية، ويتعد عن المجتمعات المسلمة التي يتعلم فيها الحقائق والمعارف والمسائل الدينية، فهو في الحقيقية (متعرب) وما جاء في مذمة الأعرابي يشملته حتى لو كان ساكناً في المدن.

يذكر لنا التاريخ أن عدداً من المسلمين الذين يقولون بحسب الظاهر (لا إله إلا الله) مثل قيس بن الفاكه، وقيس بن الوليد وأمثالهم، لم يهاجروا من مكة إلى المدينة مع قدرتهم على ذلك، ولما جاء رؤساء قريش إلى معركة بدر حضروا معهم وقُتلوا بسيف المسلمين، فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^(١)، وفي هذه الآية دلالة على وجوب الهجرة من مكان لا يتمكن فيه من إقامة شعائر الإسلام، وقد استفاد الفقهاء وجوب الهجرة منها، ومن آيات أخرى، مثل قوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾^(٢).

الأحاديث الشريفة في النهي عن التعرب ووجوب الهجرة:

روي عن رسول الله ﷺ: (من فرَّ بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وأهلها)^(٣).

وقد روي عن عكرمة أنه كان جمع من المسلمين في مكة لا يقدر على

(١) سورة النساء: آية ٩٧.

(٢) سورة العنكبوت: آية ٥٦.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج ١٩، ص ٣١.

الهجرة، فلما نزلت آيات الهجرة سمعها رجل من المسلمين، وهو جندع بن ضمرة وكان بمكة، فقال: والله ما أنا مما استثنى الله، إني لأجد قوة وإني لعالم بالطريق، وكان مريضاً شديداً المرض، فقال لبنيه: والله لا أبيت بمكة حتى أخرج منها، فإني أخاف أن أموت فيها، فخرجوا يحملونه على سرير حتى إذا بلغ التنعيم ظهرت عليه آثار الموت، فوضع يده اليمنى في اليسرى وقال: (اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه)، ثم مات، ولما وصل خبر وفاته إلى المدينة قال بعض الأصحاب: لو وصل إلى المدينة لنال ثواب الهجرة، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(١). وبعد رسول الله ﷺ كانت الهجرة واجبة إلى الأئمة عليهم السلام، من أجل التدين بدين الله، وتعلم أحكامه والتي أهمها معرفة الإمام، ولذا يعد من التعرب عدم الهجرة إلى الإمام من أجل التعرف عليه وتعلم الوظائف الدينية منه، والتعرب بعد الهجرة هو عبارة عن الإعراض عن الإمام بعد معرفته، كما روى الصدوق عن حذيفة بن المنصور عن الإمام الصادق عليه السلام: (المتعرب بعد الهجرة، التارك لهذا الأمر بعد معرفته)^(٢)، والمراد بـ(هذا الأمر) في الروايات، هو عقيدة الإمامية الإثني عشرية، كما يظهر بالتتابع.

وعنه عليه السلام أنه قال: (تفقهوا في الدين، فإنه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي، إن الله عز وجل يقول في كتابه: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾)^(٣).

(١) تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج ٥، ص ٥٦.

(٢) معاني الأخبار للشيخ الصدوق: ص ٢٦٥.

(٣) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٣١.

وعنه عليه السلام أنه قال لأصحابه: (عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً، فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يُزكَّ له عملاً)^(١).

وتواترت الأحاديث الناهية عن التعرب بعد الهجرة وعَدَّت هذا العمل من الكبائر، فعن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله: (الكبائر سبع: قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وكل ما أوجب الله عليه النار)^(٢).

أقوال العلماء في التعرب ووجوب الهجرة:

يقول الشيخ الطوسي رحمته في ذلك: (أما الذي تلزمه الهجرة وتجب عليه، من.... لا يتمكن من إظهار دينه بينهم فيلزمه أن يهاجر لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾^(٣)، فدل هذا على وجوب الهجرة على المستضعف الذي لا يقدر على إظهار دينه، ودليله أن من لم يكن مستضعفاً لا يلزمه ثم استثنى من لم يقدر فقال: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ﴿^(٤).

ويقول العلامة الحلي رحمته في كتاب منتهى المطلب: (واعلم أن الناس

(١) الكافي للشيخ الكليني: ج ١، ص ٣١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٧٧.

(٣) سورة التوبة: آية ٩٧.

(٤) المبسوط للشيخ الطوسي: ج ٢، ص ٤.

في الهجرة على أقسام ثلاثة: أحدها: من تجب عليه، وهو من أسلم في بلاد الشرك وكان مستضعفاً فيهم لا يمكنه إظهار دينه ولا عذر له من مرض وغيره^(١).

ويقول صاحب الجواهر رحمته: (يجب المهاجرة عن بلد الشرك على من يضعف عن إظهار شعار الإسلام من الأذان والصلاة والصوم وغيرها، سمّي ذلك شعاراً لأنه علامة عليه، أو من الشعار الذي هو الثوب الملاصق للبدن، فاستعير للأحكام اللاحقة للدين)^(٢).

وقال السيد الحكيم رحمته: (والأعرابي وإن فُسر بساكن البادية إلا أن منصرفه من كان متخلقاً بأخلاقهم الدينية المبنية على المساحات)^(٣).

وقال السيد الخوئي رحمته: (التعرب بعد الهجرة، أي الإعراض عن أرض المسلمين بعد الهجرة إليهم والانتقال إلى بلد الكفار)^(٤).

شبهة وردها:

الكثير ممن هاجر إلى بلاد الشرك لأجل الدراسة أو للتجارة أو غيرها من دواعي السفر ربما تتولد لديهم شبهة وهي أنهم يتصورون عدم تأثرهم بما هو موجود في هذه البلاد من الانحلال وعدم المبالاة وانتشار كل مظاهر الفساد سواء كانت أخلاقية أم فكرية.

ومنشأ هذا التصور - بزعمهم - أنهم وصلوا إلى مرحلة من التشبع بما هو موجود واعتاد عليه، لكثرة ما يشاهدون وما يتعرضون له يومياً، وهم

(١) منتهى المطلب للعلامة الخلي: ص ٨٩٨.

(٢) جواهر الكلام للشيخ الجواهري: ج ٢١، ص ٣٤.

(٣) مستمسك العروة للسيد الحكيم رحمته: ج ٧، ص ٣٣١.

(٤) شرح العروة الوثقى - كتاب الصلاة - للسيد الخوئي رحمته: ج ١٧، ص ٣٧٧.

يعترفون بأنهم في بداية دخولهم لهذه البلاد قد تأثروا كثيراً وربما قد أنجّر بعضهم إلى الموبقات وارتكاب المعاصي إلا ما رحم ربي..
وهذه شبهة قد سمعناها من البعض عندما طلب منهم الرجوع إلى بلادهم الإسلامية.

وفي مقام الرد عليهم يمكن القول: إن نفس الدخول بداية لمثل هذه البلاد - مع عدم الاضطرار لذلك أو كان لديهم خيار آخر - فيه إثم خصوصاً عندما يجتمل الإنسان عدم الحفاظ على دينه أو لا يحرز عدم الوقوع في المحرمات، وهذا ما صرّح به أئمة أهل البيت عليهم السلام، فقد كتب علي بن موسى الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان فيما كتب من جواب مسأله: (وحرّم الله التعرب بعد الهجرة للرجوع عن الدين وترك المؤازرة للأتبياء والحجج عليهم السلام، وما في ذلك من الفساد وإبطال حق كل ذي حق لعله سكنى البدو، ولذلك لو عرف الرجل الدين كاملاً لم يجز له مساكنة أهل الجهل والخوف عليه، لأنه لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم والدخول مع أهل الجهل والتماهي في ذلك)^(١).
كما أن نفس الاعتقاد - على فرض إمكان ذلك - على مظاهر الفساد وعدم التأثير بها - بحسب زعمهم - فهذه مصيبة كبرى، لأنهم في الحقيقة وصلوا إلى مرحلة اعتياد المعاصي وعدم استقباحها والنفور منها، بل أصبحت المحرمات التي تشاع وتنتشر أمراً معتاداً، ثم أين ذلك الذي يدعي عدم التأثير بالمظهر الخارجي ومشاهدة مناظر الانحلال ويبقى صامداً أمام كل صورة وموقف؟

وهل له الإجابة عن موقف أولاده وعياله عندما ينشؤون في هذه البلاد وتنبت جذورهم فيه وتورق حياتهم بعيداً عن تعاليم الدين الحنيف، بل قد (١) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج ١٥، ص ١٠٠.

يأخذون تعاليمهم من وسطهم المشرك المنحل وتصبح تعاليم الغرب هي الأساس في بناء حياتهم.

وعلى فرض أنه لم يعتقد بما يخالف الشريعة، فلا أقل من الصعوبات التي يواجهها في ممارسة دينه وأحكامه الشرعية من الحلال والحرام وتجنب المحرمات من النظر والتعامل الربوي في بعض الأحيان واكتساب العادات والتقاليد التي تكون في تلك البلاد ومن ناحية ما يأكل ويشرب مما يصعب تبين الحلال والحرام فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المصادر

- ١) الفقيه
- ٢) المحاسن والمساوي للبيهقي
- ٣) المحجة البيضاء في إحياء الإحياء
- للفيض الكاشاني
- ٤) بحار الأنوار
- ٥) تدوين السنة الشريفة
- ٦) جامع السعادات
- ٧) جامع أحاديث الشيعة
- ٨) دعائم الإسلام
- ٩) عدة الداعي
- ١٠) علل الشرائع
- ١١) كنز العمال
- ١٢) مستدرک الوسائل
- ١٣) مشكاة الأنوار
- ١٤) الاحتجاج للطبرسي
- ١٥) الاختصاص
- ١٦) الاستبصار
- ١٧) الاعتقادات في دين الإمامية .
- ١٨) الاعتقادات للصدوق:
- ١٩) الإرشاد
- ٢٠) الربا وأثره في المجتمع الإنساني
- ٢١) الأخلاق في حديث واحد
- ٢٢) الألفين
- ٢٣) الأمالي للشيخ الطوسي
- ٢٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل
- ٢٥) الآية (٢٥) من الفصل (٢٢)
- سفر الخروج.
- ٢٦) البرهان في تفسير القرآن للسيد
- هاشم البحراني
- ٢٧) التبيان في تفسير القرآن
- ٢٨) الترغيب والترهيب
- ٢٩) التفسير الكاشف
- ٣٠) التهذيب
- ٣١) التوحيد للشيخ الصدوق
- ٣٢) الجامع الصغير للسيوطي
- ٣٣) الجامع لأخلاق الراوي ،
- ٣٤) للخطيب
- ٣٥) الخصال

(٥٨) الوافي	(٣٦) الخلاف
(٥٩) الوسائل	(٣٧) الدر المنثور للسيوطي
(٦٠) إرشاد القلوب للدليمي	(٣٨) الذنوب الكبيرة
(٦١) إنجيل لوقا.	(٣٩) الروضة
(٦٢) أخلاق أهل البيت	(٤٠) السرائر
(٦٣) أسرار الصلاة	(٤١) الصحاح
(٦٤) أمالي الشيخ الصدوق	(٤٢) الصحيفة السجادية
(٦٥) أمالي الشيخ الطوسي	(٤٣) العقل والجهل للريشهري
(٦٦) أمالي الشيخ المفيد	(٤٤) العلم والحكمة في الكتاب والسنة
(٦٧) بحار الانوار	(٤٥) العوالي.
(٦٨) بصائر الدرجات	(٤٦) الغدير
(٦٩) تاريخ اليعقوبي	(٤٧) الفردوس بمأثور الخطاب
(٧٠) تحرير الأحكام	(٤٨) الكافي
(٧١) تحف العقول	(٤٩) المبسوط
(٧٢) تحفة السنية في شرح نخبة المحسنية	(٥٠) المجازات النبوية للشريف الرضي
(٧٣) تفسير الأمثل	(٥١) المحاسن، البرقي
(٧٤) تفسير البرهان المقدمة	(٥٢) المستدرک
(٧٥) تفسير الدر المنثور	(٥٣) المصباح المنير:
(٧٦) تفسير العياشي	(٥٤) المعجم الوسيط
(٧٧) تفسير القمي	(٥٥) المناقب
(٧٨) تفسير الكشاف	(٥٦) الميزان
(٧٩) تفسير الميزان	(٥٧) النهاية

- ٨٠) تفسير كنز الدقائق سنن أبي داود (١٠٢)
- ٨١) تفسير نور الثقلين (١٠٣) شرح العروة الوثقى كتاب الصلاة
- ٨٢) تنبيه الخواطر (١٠٤) شرح أصول الكافي
- ٨٣) تنبيه الغافلين (١٠٥) شرح رسالة الحقوق
- ٨٤) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي (١٠٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
- ٨٥) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال (١٠٧) صحيفة الزهراء
- ٨٦) جامع احاديث الشيعة (١٠٨) عدة الداعي:
- ٨٧) جامع الأخبار (١٠٩) عقاب الأعمال
- ٨٨) جامع السعادات (١١٠) علل الشرايع
- ٨٩) جامع أحاديث الشيعة (١١١) عوالي اللآلي
- ٩٠) جواهر الكلام (١١٢) عيون اخبار الرضا
- ٩١) حقائق الإيمان للشهيد الثاني (١١٣) عيون الحكم والمواعظ
- ٩٢) خاتمة المستدرک (١١٤) عيون أخبار الرضا
- ٩٣) دعائم الإسلام (١١٥) غرر الحكم
- ٩٤) ذخائر العقبى (١١٦) غوالي اللثالي
- ٩٥) رسائل الشهيد الثاني (١١٧) فقه الإمام جعفر الصادق
- ٩٦) روضة الواعظين (١١٨) فقه الرضا
- ٩٧) رياض السالکين (١١٩) فقه المغتربين
- ٩٨) رياض المسائل (١٢٠) فلاح السائل
- ٩٩) سفينة البحار (١٢١) قرب الإسناد
- ١٠٠) سنن البيهقي
- ١٠١) سنن الترمذي

- (١٢٢) قصص الأنبياء للراوندي (١٤٣) مشكاة الانوار
- (١٢٣) كتاب المكاسب (١٤٤) مصباح الشريعة
- (١٢٤) كتاب شعر وموسيقى (١٤٥) مصباح الفقاهة
- (١٢٥) كشف الريبة عن أحكام الغيبة (١٤٦) مصباح المتهدج
- (١٢٦) كفاية الأحكام (١٤٧) معاني الأخبار للشيخ الصدوق
- (١٢٧) كمال الدين وتمام النعمة (١٤٨) معجم البلدان
- (١٢٨) كنز العمال (١٤٩) معدن الجواهر
- (١٢٩) كنز الفوائد (١٥٠) مفاتيح خزائن الأموال أو
- (١٣٠) لآلئ الأخبار نفس الخزائن (لسان العرب).
- (١٣١) لسان العرب (١٥١) مفتاح السعادة
- (١٣٢) مباني تكملة المنهاج (١٥٢) مفتاح الفلاح
- (١٣٣) مجمع البيان في تفسير القرآن (١٥٣) مقالات فقهية
- (١٣٤) مجمع الزوائد (١٥٤) مقتنيات الدرر
- (١٣٥) مجمع الفائدة (١٥٥) مكارم الأخلاق
- (١٣٦) مجموعة ورام (١٥٦) من لا يحضره الفقيه
- (١٣٧) مجلة الرابطة العربية (١٥٧) منتهى المطلب
- (١٣٨) مختار الصحاح، (د، ط)، (١٥٨) منية المرید
- بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٥ م. (١٥٩) مهذب الأحكام في بيان
- (١٣٩) مستدرک الوسائل. مسائل الحلال والحرام
- (١٤٠) مستدرک سفينة البحار (١٦٠) موسوعة أحاديث أهل
- (١٤١) مستمسك العروة البيت عليه السلام.
- (١٤٢) مسند زيد (١٦١) ميزان الحكمة

- (١٦٢) نهج البلاغة
(١٦٣) نهج الفصاحة
(١٦٤) هداية الأمة إلى أحكام الأئمة
(١٦٥) والسيرة النبوية لابن هشام
(١٦٦) وسائل الشيعة

الفهرس

المقدمة	٥
الذنوب آثارها وعلاجها	
الذنوب في لسان الآيات والروايات:	٩
الكبائر والصغائر:	١١
الصغائر قد تكون كبائر:	١٤
آثار الذنوب:	١٦
وسائل علاج الذنوب:	١٧
حقيقة التوبة	١٩
أركانها وشروطها	١٩
أهمية التوبة:	٢١
معنى التوبة:	٢٢
حقيقة التوبة:	٢٣
مخاطر تأخير التوبة:	٢٤
أركان التوبة وشروطها:	٢٦
الطريق العملي للتوبة:	٢٧

فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- ٣٥ ومن فضل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما يلي:
- ٣٧ آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- ٣٨ معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- ٣٩ أقسام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- ٣٩ شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
- ٤٠ مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الصلاة من أهم الواجبات الإلهية

- ٤٦ عقوبة تارك الصلاة في القرآن الكريم:
- ٤٧ عقوبة تارك الصلاة في الروايات الشريفة:
- ٤٩ عقوبة مُعين تارك الصلاة:
- ٥٠ قصص عن ترك الصلاة:

عقوق الوالدين في القرآن والسنة

- ٦٠ مساوئ العقوق:
- ٦٢ قصص عقوق الوالدين:
- ٦٣ أعقَّ الناس وأبرَّهم:

الرياء أسبابه وعلاجه

- ٦٧ معنى الرياء:
- ٦٨ الرياء في القرآن الكريم:
- ٦٩ الرياء في الروايات:

- الذنوب آثارها وعلاجها ٢٠٥
- أسباب الرياء: ٧١
- علاج الرياء: ٧٣

الغيبة بواعثها وعلاجها

- معنى الغيبة ومواردها: ٧٩
- الغيبة في القرآن الكريم: ٨٠
- الغيبة في الروايات: ٨١
- بواعث الغيبة: ٨٣
- علاج الغيبة: ٨٥

الكذب أنواعه مساوؤه وعلاجه

- الكذب في القرآن الكريم: ٩٢
- الكذب في الروايات: ٩٢
- أنواع الكذب: ٩٤
- مساوئ الكذب: ٩٥
- مراتب الكذب: ٩٧
- علاج الكذب: ٩٩

الغضب أسبابه وعلاجه

- الغضب في الروايات: ١٠٣
- آثار الغضب: ١٠٥
- أضرار الغضب: ١٠٥
- أسباب الغضب: ١٠٦

٢٠٦ قد أفلح من زكاها

هل يمكن إزالة الغضب؟ وما هي طرق علاجه؟ ١٠٦

فضيلة كظم الغيظ: ١١١

حرمة الغناء والموسيقى وآثارهما على الفرد والمجتمع

ما هو الغناء: ١١٥

آثار الغناء على المجتمعات: ١١٧

آثار الغناء على الأفراد: ١١٧

الموسيقى من كبائر الذنوب: ١١٨

الموسيقى والغناء في أخبار أهل البيت عليهم السلام: ١١٩

الآثار المترتبة عليهما: ١٢٠

وجوب النهي عن المنكر ومنه الغناء: ١٢٣

الإسراف أسبابه وآثاره وطرق علاجه

معنى الإسراف وأنواعه: ١٢٧

الإسراف في القرآن: ١٢٧

الإسراف في الروايات: ١٢٨

أسباب الإسراف: ١٢٩

آثار الإسراف: ١٣١

الطريق لعلاج الإسراف: ١٣٣

حرمة الربا في القرآن الكريم والسنة الشريفة

معنى الربا: ١٤٠

الربا في القرآن الكريم: ١٤٢

- الذنوب آثارها وعلاجها ٢٠٧
- الربا في الروايات: ١٤٥
- لا تختص الحرمة بآكل الربا: ١٤٦
- العقوبة الدنيوية لآكل الربا: ١٤٧

اللهو المحرم في القرآن والسنة

- اللهو في القرآن: ١٥١
- من مصاديق اللهو المحرم: ١٥٤
- حرمة قذف المحصنات ١٦١
- الآيات الواردة في قذف المحصنات: ١٦٤
- الروايات الواردة في قذف المحصنات: ١٦٥
- عقوبة قاذف المحصنات: ١٦٦
- بيان وجه العلة في حد القذف: ١٦٧
- لماذا قيدت الشريعة الشهادة بأربعة شهود: ١٦٨
- العلاج: ١٦٩
- تنبيه: ١٧١

حرمة القتل في الكتاب والسنة الشريفة

- القتل بالباطل (المحرم): ١٧٦
- من أهم أسباب قتل النفس: ١٧٧
- القتل في الروايات الشريفة: ١٨١
- قتل النفس وأثره على الفرد والمجتمع: ١٨٢
- عقوبة القاتل: ١٨٣

حرمة التعرب بعد الهجرة

- ١٨٧ معنى الهجرة
- ١٨٨ معنى التعرب بعد الهجرة
- ١٩٠ الآيات الكريمة في التعرب ووجوب الهجرة
- ١٩١ الأحاديث الشريفة الواردة في النهي عن التعرب ووجوب الهجرة ..
- ١٩٣ أقوال العلماء في التعرب ووجوب الهجرة